THE APPROACH OF AL-IMĀMĪYAH IN INFERENCE BY UNVEILING, INSPIRATION AND DREAMS IN PROVING THE UNSEEN

Mawaheb Bent Ali Mansour Farhan
Assistant Professor in Department of Da`wah and Islamic Culture At Umm Al-Qura University
E-mail: hebaheba1434h@gmil.com

ABSTRACT

The research deals with one of the issues in which the Imāmīyah has a special vision that differs greatly from the correct legal vision and the approach of Ahl as-Sunnah wa al-jamā'ah. Which raises a major question: what is the approach of al-imāmīyah in inference by unveiling, inspiration and dreams in proving the unseen? This research aims to focus on Imāmīyah's approach to inference by unveiling, inspiration and dreams in proving the unseen, and clarify flaws and deviation in their approach and criticize them. By employing the descriptive and the critical approach in dealing with the topic, The researcher has reached the following findings: (1) According to al-imāmīyah, the unveiling is an argument for inferring the beliefs and the unseen;,as they see that the knowledge of Allāh may be attained for the servants by whatever he wants from the levels of knowledge, and among that is knowing Allāh and knowing the meanings of His Names; (2) The Imāmīyah concluded that the Imāmī inspiration is the reason for the infallibility of the Imāms, which made their sayings like the saying of the Prophet (Peace And Blessings Be Upon Him). Therefore, this inspiration is an argument for the Imāmīyah in inference with it to prove the unseen and creed matters; (3) The Imāmīyah believes that the dreams of the Imāms is considered as a revelation same as the dream of the prophets which considered as a revelation, and accordingly it must be acted upon and inferred in proving the beliefs and the unseen, as result of that, the Imāmīyah believes that the Shiites are preferred over the rest of creation; (4 All the claims made by the Imāmīyah related to unveiling, inspiration and dreams are false and baseless, as the Prophet ﷺ did not reach this level As well as others. The researcher recommended studying the issues of unveiling, inspiration and dreams for the rest of the Islamic sects that are in conflict with the methodology of Ahl as-Sunnah wa al-jamā'ah and the correct approach.

Keywords: Approach, Imāmīyah, Unveiling, Inspiration, Dreams, Unseen.

eISSN: 2600-7096
المجلد.6، العدد الخاص 3، أكتوبر 2022م

منهج الإمامية في الاستدلال بالكشف والإلهام والرؤى في إثبات الغيبيات

مواهب بنت علي منصور فرحان

أستاذ العقيدة المساعد بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية بجامعة أم القرى

المخلص

يتناول البحث إحدى المسائل التي للإمامية فيها رؤية خاصة تفترق كثيرًا عن الرؤية الشرعية الصحيحة ومنهج أهل السنة والجماعة، مما يثير تساؤلًا رئيسًا حول منهج الإمامية في الاستدلال بالكشف والإلهام والرؤى في إثبات الغيبيات؟ وهدف البحث إلى الوقوف على منهج الإمامية في الاستدلال بالكشف والإلهام والرؤى في إثبات الغيبيات، وبيان مواطن الخلل والانحراف في منهجهم هذا والرد عليهم. واستخدمت الباحثة المنهج الوصفي والمنهج النقدي في معالجة الموضوع، وعلى وفقهما وصلت إلى نتائج البحث والتي كان من أبرزها: الكشف عند الإمامية حجة في الاستدلال على المعتقدات والغيبيات، إذ يرون أن معرفة الله قد تحصل للعباد بما شاء وأراد من مراتب المعرفة، ومن ذلك معرفة ذاته ومعرفة معاني أسمائه جل ثناؤه، وخلص الإمامية إلى أن الإلهام الإمامي هو سبب عصمة الأئمة وهو ما جعل أقوالهم مثل قول النبي ﷺ، وعلى ذلك فإن هذا الإلهام حجة عند الإمامية في الاستدلال به لإثبات الأمور الغيبية والعقائدية، ويعتقد الإمامية أن رؤيا الأئمة وحي مثل رؤيا الأنبياء، وعلى ذلك يجب العمل بها والاستدلال بها في إثبات العقائد والغيبيات، ومما ثبت عندهم عن طريق الرؤى تفضيل الشيعة على بقية الخلق وبيان ما يحدث لهم عند الموت وبعد الموت، وكل ما ادّعاه الإمامية مما يتعلق بالكشف والإلهام والرؤى أمور باطلة لا أساس لها من الصحة، فإن النبي ﷺ لم يصل إلى هذه المرتبة فضلًا عن غيره. وأوصت الباحثة بدراسة مسائل الكشف والإلهام والرؤى عند بقية الفرق الإسلامية المخالفة لمنهج اهل السنة والجماعة والمنهج القويم.

الكلمات الافتتاحية: منهج، الإمامية، الكشف، الإلهام، الرؤى، الغيبيات.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي أنزل الحق المبين، والصلاة والسلام على النبي الأمين ﷺ الذي أرسله ربه بالحق بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، فهدى الله به من الضلالة، وأرشد به من الغواية، وفتح به أعينًا عميًا، وآذانًا صمًّا، وقلوبًا غلفًا..... أمَّا بعد:

فإن من يرد به الله خيرًا يفقهه في الدين، والفقه الأكبر هو فقه العقيدة الذي مداره على الأصول والثوابت والمسلمات التي يقوم عليها الدين، وبقدر تمسك الأمة بعقيدتها الربانية وثباتها عليها يكون قربها من منهج ربها الذي ارتضاه لها، وبقدر بعدها عن عقيدتها وتنازلها عن ثوابتها وأصولها يكون بعدها عن منهج ربها الحق المبين.

وقربًا وبعدًا عن منهج ربّ العالمين نشأت في تاريخ الإسلام فرقٌ شتى ومذاهب مختلفة، وطوائف متفرقة. مختلفة في أصولها ومصادرها، متباعده في ثوابتها وعقائدها، ولا يكاد يخفى على أحد أن أعظم الفرق المخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة اليوم هي فرقة الإمامية الاثني عشرية، فهي الفرقة البارزة في وقتنا المعاصر التي تناهض المذهب السلفي الصحيح، وتبارزه وتحاربه وتتطاول عليه، وتسعى إلى نشر أفكارها وعقائدها بين المسلمين، في مقابل جهودها ومحاولاتها لهدم الإسلام من جذوره والتأثير عليه في ثوابته وأصوله ومسلماته، والعقيدة كانت ولا زالت هي جوهر الصراع الفكري بين السنة والشيعة على مدى التاريخ.

وإذا كان الإيمان هو المصطلح المرادف للعقيدة أو هو التعريف اللغوي الأدق لهذه الكلمة، فقد تبين أن مسألة الخلاف العقدي مسألة تتعلق بأصول الإيمان، وعلى ذلك يجب الوقوف على الأصول الإيمانية التي يجب أن يثبت عليها العبد وفق ما جاء في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ إذ أن هذه الأصول العقدية لا سبيل إلى معرفتها إلا عن طريق الوحي. ولا يمكن أن نأخذ منها موقف الأخذ أو الرد أو القبول أو الرفض بل الواجب التسليم لنصوص الوحي في هذه المسائل، وعليه فإن الخلاف يكون كبيرًا والفرقة تكون شاسعة عندما يكون الاختلاف في أصل من أصول الاعتقاد. ولما كان لزامًا على كل باحثٍ حصيف أن يبحث فيما يفيد الأمة ويسعى إلى بيان الحقّ ودحض الباطل، ويساهم في الدفاع عن سنة النبي ﷺ ومنهجه الذي سار عليه سلف الأمة، وهذا يستدعي رد أي مسألة أثير حولها الاختلاف والجدل إلى القرآن الكريم والسنة النبوية وفق التوجيه القرآني بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ۝٥٩﴾ [النساء: 59]، لذا رأيت أن أبحث في الخلاف العقدي بين السنة والشيعة في مسألةٍ عقديةٍ مهمة جديرة بالبحث والتحقيق العلمي، حيث اخترت أن يكون بحثي بعنوان: منهج الإمامية في الاستدلال بالكشف والإلهام والرؤى في إثبات الغيبيات.

مشكلة البحث:

يثير هذا البحث بعض المسائل المتفرعة عن العقيدة الإسلامية، والتي قد يتوهم البعض انها ليست كذلك، وإذا كان لأهل السنة والجماعة منهجهم المعلوم في كافة المسائل العقدية وما يتفرع عنها؛ فقد شذ عن المنهج السوي الفرقة الإمامية التي لها مخالفات عقدية جمة، وتبرز في هذا الصدد مسألة الاستدلال على الغيبيات بالكشف والإلهام والرؤى، حيث تعد إحدى المسائل التي للإمامية فيها رؤية خاصةً تفترق كثيرًا عن الرؤية الشرعية الصحيحة وفق منهج أهل السنة والجماعة، مما يثير تساؤلًا رئيسًا حول ذلك يتمثل في الآتي: ما منهج الإمامية في الاستدلال بالكشف والإلهام والرؤى في إثبات الغيبيات؟

أهداف البحث:

يروم هذا البحث تحقيق الأهداف الآتية:

1. الوقوف على منهج الإمامية في الاستدلال بالكشف في إثبات الغيبيات.
2. الوقوف على منهج الإمامية في الاستدلال بالإلهام في إثبات الغيبيات.
3. الوقوف على منهج الإمامية في الاستدلال بالرؤى في إثبات الغيبيات.
4. بيان مواطن الخلل والانحراف في منهج الإمامية بالاستدلال بالكشف والإلهام والرؤى في إثبات الغيبيات.
5. الردُ على الإمامية في استدلالهم بالكشف والإلهام والرؤى في إثبات الغيبيات.

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في الآتي:

1. تتجلى أهمية هذا البحث في أنه يتناول مسألة عقديةً مهمة قد تخفى على بعض الناس أنها من مسائل العقيدة.

2. إبراز منهج الإمامية في الاستدلال بالكشف والإلهام والرؤى في إثبات الغيبيات بعيدًا عن المنهج الشرعي السوي منهج أهل السنة والجماعة.

3. تجلية أي غموض يتعلق بفهم الكشف والإلهام والرؤى في إثبات الغيبيات.

منهج البحث:

وفق طبيعة موضوع هذا البحث فقد اقتضى استخدام المنهج الوصفي والمنهج التحليلي؛ حيث يتسم هذا البحث بدراسة مشكلة البحث وتحليلها وتفكيكها ودراسة حيثياتها بدقة من خلال العرض والتحليل.

والمنهج الوصفي التحليلي منهجٌ يسعى إلى جمع الحقائق والبيانات عن المشكلة محط الدراسة وتفسيرها وتحليلها واستنباط النتائج والدلالات المفيدة التي تؤدي إلى توضيح المشكلة وبيانها[1].

ثم نقدها بعد ذلك ورصد مواطن الخطأ والصواب، بالإستناد إلى الأصول والثوابت العلمية المقررة: [2].

الدراسات السابقة:

من خلال التحري لم أجد أي دراسة سابقة متعلقة بموضوع البحث كما هو، بيد ان هناك عدة أبحاث علمية ومقالات متفرقة أغلبها تتعلق بالكشف والإلهام والرؤى أو تتعلق بمذهب الإمامية وعقائدهم ومصادر التلقي عندهم بشكل عام، ومن هذه الدراسات:

- (أصول مذهب الشيعة د. ناصر القفاري) وهو كتاب يتحدث عن أصول الشيعة بشكل عام.

- مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقدية عند الإمامية الاثنى عشرية، د. إيمان العلواني، وهي دراسة تتحدث عن مصادر التلقي والمعرفة عند الإمامية، ودراستي تختص وتركز على الاستدلال في الإيمان بالغيبيات فقط

- منهج الاستدلال على أصول الاعتقاد، د. عثمان علي حسن، وهذه الدراسة تناولت الاستدلال عند طوائف متعددة وتطرقت إلى الاستدلال عند الإمامية بشكل عام في أماكن متفرقة من الدراسة.

المبحث الأول: منهج الإمامية في الاستدلال بالكشف في إثبات الغيبيات ونقده

المطلب الأول: تعريف الكشف:

تعريف الكشف لغة: الكشف رفع الحجاب، والكشف رفع الشيء عما يواريه ويغطيه، وكشف الأمر أي أظهره [3]

تعريف الكشف اصطلاحا: الكشف عند أهل السلوك هو المكاشفة، وهو زوال الحجاب والوقوف على ما وراء الحجاب من حقائق الأشياء. ويراد به رؤية العوالم العلوية والسفلية عيانًا، كرؤية الملائكة والأنبياء، والاطلاع على اللوح المحفوظ، ومعرفة المعتقدات والغيبيات والأحكام ومعرفة تفسير الكتاب والسنة[4].

---

[1] ينظر: جويدي، رجاء وحيد، **البحث العلمي أساسياته النظرية وممارساته**، (دمشق: دار الفكر، ط1، 2000م)، ص185.

[2] ينظر: الأنصاري، فريد، **أبجديات البحث في العلوم الشرعية**، (الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديد، ط.د، 1417هـ-1997م)، ص96.

[3] ينظر: الجوهري، إسماعيل بن حماد، **الصحاح**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407ج4، ص1421، ابن منظور، محمد ابن مكرم، **لسان العرب**، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1405: ج9، ص300

[4] ينظر: الجرجاني، علي بن محمد، **التعريفات**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، (دار الكتاب العربي، ط1، 1405هـ)، ص237، والحنفي، عبد المنعم، **معجم مصطلحات الصوفية**، (بيروت، دار المسيرة، ط.د، 1400هـ)، ص249.

المطلب الثاني: منهج الإمامية في الاستدلال بالكشف في إثبات الغيبيات

يقول الإمامي رضا محمد حُدرج في تعريف المكاشفة: "...يتضح لنا حقيقة معنى المكاشفة، فعندما تسمو الروح الإنسانية، وتتغلب على الغرائز والصفات الحيوانية، وتسيطر القيم المعنوية على القيم المادية نتيجة الرياضيات والمجاهدات، والعبادات المركزة، عندها تظهر حالات للمؤمن لا يمكن شرحها، وترتفع عن عينه الحجب المادية، فيرى ما وراء الحجب، ويدرك حقائق الأشياء، ويرى الملائكة والأرواح، ويتحدث معهم ويطلع على عالم ما وراء الطبيعة، فيشاهد عالمًا غير هذا العالم، وتتضح له أمور كثيرة، فينظر إلى الحق بعين العرفان، ويشاهد العالم الأعلى بالعيان"[1].

ويتضح من القول السابق أن المكاشفة عند الإمامية لا تحصل إلا بعد المجاهدة والرياضة القاسية، ويؤكد ذلك قول الملا صدرا الشيرازي: "وهذه المكاشفات والمشاهدات لا تحصل إلا برياضيات ومجاهدات في خلوات مع توحش شديد عن صحبة الخلق، وانقطاع عن أعراض الدنيا وشهواتها الباطلة وترفعاتها الوهمية وأمانيها الكاذبة"[2].

فقد ذهب الإمامية إلى أن الكشف يورث لصاحبه معارف يقينية تتجلى له بصورتها الحقيقية التي لا يخالطها شك.

وهذا اليقين له ثلاثة مراتب كما يقرر السهروردي[3]: "الذي جمع بين منهج المتكلمين والفلاسفة ومنهج الصوفية"، ومن وافقه من الإمامية المتأخرين بفلسفته[4]:

الأول: علم اليقين، هو: ما أعطى الدليل بتصور الأمور على ما هي عليه.

الثاني: عين اليقين هو: ما أعطته المشاهدة والكشف.

الثالث: حق اليقين، هو: عبارة عن فناء العبد في الحق والبقاء به علمًا وشهودًا وحالًا، لا علمًا فقط، فعلم كل عاقل بالموت علم اليقين، فإذا عاين الملائكة فهو عين اليقين، فإذا ذاق الموت فهو حق اليقين. يقول مصطفى الخميني[5]: "الدرجة الأولى: علم اليقين، وهو قبول ما ظهر من الحق، وقبول ما غاب للحق، والوقوف

---

[1] نقلا عن التبريزي، محمد حسين، **المكاشفات**، (دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر، ط.د، 2002م)، مقدمة الكتاب، ص13.

[2] الشيرازي، الملا صدرا، **الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية**، (بيروت، دار إحياء التراث، ط3، 1981م)، 5ج، ص108-109.

[3] يحيى بن حبش بن أميرك السهرودي، أبو الفتوح، لقّب بشيخ الإشراق، اشتهر بحكمة الإشراق التي جاء بها في عالم التصوف، توفي سنة 586هـ. ينظر: الخونساري، محمد باقر، **روضات الجنات في أحوال العلماء السادات**، تحقيق: أسد الله إسماعيليان، (المطبعة الحيدرية، ط.د، 1950م)، ج4، ص109.

[4] ينظر: الشهيد الثاني، زين الدين العاملي **حقائق الإيمان**، تحقيق مهدي رجائي، (قم، مطبعة سيد الشهداء، ط1، 1409هـ)، ص103، والنراقي، محمد مهدي، **جامع السعادات**، تحقيق: محمد كلانتر، (دار النعمان، ط4، ت.د)، ج1، ص128-129، والخميني، مصطفى، **تفسير القرآن الكريم**، (إيران، مطبعة مؤسسة عروج، ط1، 1379هـ)، ج3، ص54.

[5] محمد بن روح الله الموسوي الخميني، الملقب بمصطفى، ولد سنة 1350هـ، من علماء الشيعة الإمامية، قتل عام 1397هـ. ينظر: الصدر، محمد باقر، =

على ما قام بالحق. والثانية: عين اليقين وهو الغنى بالاستدلال عن الاستدلال، وعن الخبر بالعيان، وخرق شهود حجاب العلم. والدرجة الثالثة: حق اليقين، وهو إسفار صبح الكشف، ثم الخلاص من كلفة اليقين، ثم الفناء في حق اليقين"[1]. وحكى الخوانساري[2] أن ابن سينا وأبا سعيد التقيا في محله، فلما افترقا سئل كل منهما عن أحوال الآخرة فقال أبو سعيد: ما أنا أراه هو يعلمه، وقال ابن سينا: ما أعلمه هو يراه![3].

ويقول بعد أن عرض هذه القصة: "فيما ذكراه إشارة إلى درجات علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين، وبعبارة أخرى: يقين الخبر ويقين الدلالة ويقين المشاهدة، وبتقرير ثالث: مكاشفة في الأخبار ومكاشفة بإظهار القدرة ومكاشفة القلوب بحقائق الإيمان، وكل هذه الألفاظ الثلاثة بمعنى نفس اليقين إلا أن علم اليقين على موجب اصطلاحهم ما كان بشرط البرهان، وعين اليقين ما كان بنعت العيان، ومثل لذلك بمن علم ماهية النار مثلًا بالتعريف، وبمن رآها بالعين، وبمن تأثر بها بنفسه فعلم اليقين لأرباب العقول، وعين اليقين لأصحاب العلوم وحق اليقين لأصحاب المعارف"[4].

وقد قسم علامتهم الآملي المكاشفات التي يرتقي فيها السالك مرتبة مرتبة إلى أن يصل إلى أعلى مرتبة، وهذه المراتب على النحو التالي:

الأولى: الكشف النظري (كشف المعقولات): ويقصد به النظر إلى الشريعة بدافع الوصول إلى حقيقة المعقولات، فإذا سار السالك برياضة صادقة وخطى ثابتة تجلت له معاني المعقولات بمقدار ما يرتفع من الحجب، ويصفو عقله ويتجرد ويقف على أسرار المعقولات.

الثانية: الكشف الشهودي (المكاشفات القلبية): ومن اجتاز كشف المعقولات بانت له المكاشفات القلبية، وعندها تظهر له أنوار متعددة تؤهله للانتقال إلى المرحلة الثالثة.

الثالثة: الكشف الإلهامي (المكاشفات السرية): وتتجلى في هذا المقام جميع أسرار الخليقة، وحكمة وجود كل الأشياء، وتظهر بكل وضوح.

=

السيرة والمسيرة في حقائق ووثائق، (لبنان، مؤسسة المعارف للمطبوعات، ط1، 2006م)، ج3، ص403-407.

[1] نقل هذا الكلام عن: الأنصاري، عبد الله بن محمد بن علي الهروي، **تفسير القرآن الكريم**، (مخطوط) ج3، ص54، 55. وينظر: الجرجاني، **التعريفات**، ص158، 161، 95.

[2] محمد باقر بن زين العابدين بن جعفر بن الحسين الموسوي الأصفهاني الخونساري، من علماء الإمامية، أديب ومؤرخ من أهل خونسار، توفي سنة 1313هـ. ينظر: الطهراني، أغا بزرك، **الذريعة إلى تصانيف الشيعة**، (بيروت، دار الأضواء، ط3، 1403هـ)، ج11، ص280، والعاملي، محسن الأمين، **أعيان الشيعة**، (دمشق، مطبعة ابن زيدون، ط.د، ت. د)، ج9، ص187.

[3] ينظر: الخونساري، محمد الباقر، **روضات الجنات**، ج3، ص172.

[4] الخونساري، محمد الباقر، **روضات الجنات**: ج3، ص172، 173.

الرابعة: الكشف الروحي (المكاشفات الروحية): وتنكشف له في أول هذه المقام درجات الجنات، وشواهد الرضوان، ومشاهدة الملائكة والتحدث معهم.

فإذا صفت الروح تمامًا وتخلصت من شوائب الحميم، انكشفت العوالم اللامتناهية، وزالت الحجب الزمانية والمكانية حتى تتمثل أمامه الموجودات والمراتب منذ بدء الخليقة، فيرى كل ما سيكون وما يحدث في المستقبل.

وبعد الكشف الروحي تظهر بعض خوارق العادات والكرامات لمن وصل لهذا المقام من جراء الإشراق على الخواطر والاطلاع على الغيبيات والعبور من فوق النار والماء والهواء وانطواء الأرض وغير ذلك! ولكن هذا المعنى ليس له كثير اعتبار عند أرباب الحقيقة؛ لأنه يمثل كذلك ذهنية أهل الضلال، ولا يمكن لغير أهل الدين فهم حقيقة الكرامات، والمسلم والكافر يمتلكان الروح على السواء. والكشف الروحي الخفي فلا يكون إلا لخواصه تعالى، وإذا صار القلب واسطة بين عالم الملك وعالم الملكوت صار قابلًا لفيض النور والعقل والروح، فيوصل آثار أنوار الروحانيات والمعقولات إلى النفس والجسد، ويصير سر واسطة عالم الروح والقلب حتى يستفيد من الفيض عليها.

الخامسة: الكشف الصفائي (مكاشفات الصفات الجلالية): هنا يكون السالك قابلًا لمكاشفات الصفات الجلالية فيوصل صورة ذلك إلى عالم الروحانية، ويدعونه بالكشف الصفائي، فإذا كشف جلالته في هذه الحال بالصفة العالية ثم الحصول على "العلم اللدني" وأما إذا كشف بالصفة الجلالية كان "الفناء الحقيقي".

السادسة: الكشف الذاتي: فهي أعلى المراتب وأسماها، ولا يمكن حصرها بالكلمات، أو العبارات، أو الإشارات –حسب زعمهم–[1].

وقرر محمد حسين التبريزي النجفي مراتب الكمال الإنساني الجوهري "المعنوي" وجعلها سبع مراتب يتدرج فيها السالك ما بين مرتبة الشهوة ثم القوة الوهمية ثم العقل ثم الخطور الذهني ثم إدراك النفس القدسية ثم إجماع النفس القدسية مع النفوس المجردة، ثم مقام الوحدة والتي تمثل عندهم صورة الكمال عند الإنسان، حيث قالوا إن هذه المرتبة في السماء السابعة من سماء العلم عند أهل العرفان وتسمى مقام الوحدة؛ لأن الإنسان يصل إلى هذا المقام وحيدًا بها لا يشاركه أحد من الناس في هذه المرتبة، وكل إنسان له مقام يختص به وحده لا يطالعه أحد غير الإمام المعصوم المحيط بروحه، والله تعالى المحيط بروح الإمام المعصوم.

فمقام الوحدة هي الإحاطة كما أن الله محيط بروح الإمام، وكذلك روح الإمام محيطة بأرواح البشر وأرواحهم محيطة بالنفوس المتوجهة إليهم، وهذا الاتجاه يوجب إحاطة الروح لإدراك النفوس المتجهة، فيكون الإدراك بإحاطة الروح النورانية، ولا فرق من أن تحيط الروح بنفس واحدة، أو بأنفس متعددة.

---

[1] ينظر: الآملي، محمد محمود، **نفائس الفنون في عرائس العيون**، (نسخ دراويش شيخية: إيران، ت.د، ط.د) ج2، ص62–65؛ نقلًا عن التبريزي، محمد حسن، **المكاشفات**، ص19–22.

وبعد إحاطة الروح بالنفوس المجردة، وتوصل نفس الإنسان إلى مقام الوحدة عند ذلك تكون النفس الواصلة وحدها تسير خلف هذه النفوس بطبقاتهم، وتنظر أفعالهم وحركاتهم وسكناتهم، وتسمع جميع ما يقولون، وتبصر جميع ما يفعلون عند ذلك يحصل العلم عند هذه النفس في مقام الوحدة.

فإذا ما بلغ الإنسان هذه المرتبة من الكمال، كانت له أهلية تؤهله؛ لأن يبصر، ويسمع بالمكاشفات، ويقف على أسرار غامضة، وتكون له ملكة المؤمن الحقيقي، فيبصر ويسمع بنور الله، وتلك هي المكاشفات المجردة عن المادة المستفيضة من روح القدس[1].

يقول الماحوزي مشيرًا إلى هذه المراتب: "واعلم أن لبعض علمائنا المحققين في هذا المقام كلامًا على طريقة أهل الكشف والعرفان وهو أن المراتب الثابتة لمولانا أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام من الله تعالى، ومن النبي ﷺ ثابتة لهم بطريق ثبوت الولاية لهم من روحانية النبي ﷺ، والمعطي لهم مراتبهم في العوامل الثلاثة؛ لأنه قطب الكل. وإذا عرفت أن كل واحد من الأولياء إنما يأخذ ما يأخذه بواسطة روحانية نبيه، وجب أن يكونوا أفضل من الأنبياء، وأكمل وأتم في مقام الوحدة، بسبب مشاهدة الأنوار المحمدية والاستضاءة بها، لانعكاس شعاع مرآته على مرائي نفوسهم بسبب المقابلة الموجبة لاستعداد أنفسهم القبول فيض نوره"[2].

ويرى الإمامية أن هناك ارتباطًا وثيقًا بين الكشف والأدلة النظرية والبراهين العقلية، وفي ذلك يقول الملا صدرا الشيرازي: "...فإن مجرد الكشف غير كافٍ في السلوك من غير برهان، كما أن مجرد البحث من غير مكاشفة نقصان عظيم في السير والله المعين"[3].

وعلى ذلك فإن الكشف حجة عند الإمامية في الاستدلال على المعتقدات والغيبيات، فيرون أن معرفة الله تعالى قد تحصل للعباد بما شاء وأراد من مراتب المعرفة، ومن ذلك معرفة ذاته ومعرفة معاني أسمائه جل ثناؤه.

والعارفون به تعالى بتعريفه سبحانه يتمكنون من جميع التمجيدات والتعظيمات والتقديسات حين قاموا بين يديه سبحانه في مقاماتهم الكريمة ومواقفهم الجليلة![4].

ويقول جعفر السبحاني في بيان استدلال الإمامية بالكشف على الغيبيات: "هناك ثلة قليلة يشاهدون بعيون القلوب ما لا يدرك بالأبصار، فيرون جماله وجلاله وصفاته وأفعاله بإدراك قلبي، يدرك لأصحابه ولا يوصف لغيرهم، والفتوحات الباطنية من المكاشفات أو المشاهدات الروحية والإلقاءات في الروع غير مسدودة بنص

---

[1] ينظر: التبريزي، محمد حسن، **المكاشفات**، ص33-51.

[2] القمي، محمد طاهر، **كتاب الأربعين في إمامة الأئمة الطاهرين**، تحقيق: مهدي الرجائي، (مطبعة الأمير: قم، ط 1، 1418هـ)، ص398.

[3] الشيرازي، الملا صدرا، **الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية**، ج3، ص326.

[4] ينظر: المالكي، محمد باقر، **توحيد الإمامية**، تنظيم محمد البياباني الأسكوئي، (قم، مؤسسة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ط1، 1415هـ)، ص239-240.

الكتاب العزيز قال سبحانه: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانًا﴾ [الأنفال:29]،أي يجعل في قلوبكم نورًا تفرقون به بين الحق والباطل، وتميزون به بين الصحيح والزائف، لا بالبرهنة والاستدلال بل بالشهود والمكاشفة. وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورًا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الحديد:28]، والمراد من النور هو ما يمشي المؤمن في ضوئه طيلة حياته في معاشه ومعاده، في دينه ودنياه، وقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت:69]، إلى غير ذلك من الآيات الظاهرة في أن المؤمن يصل إلى معارف وحقائق في ضوء المجاهدة والتقوى، إلى أن يقدر على رؤية الجحيم في هذه الدنيا المادية. قال سبحانه: ﴿كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ٥ لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ﴾ [التكاثر:5-6]، نعم ليس كل من رمى أصاب الغرض، وليست الحقائق رمية للنبال، وإنما يصل إليها الأمثل فالأمثل، فلا يحظى بما ذكرناه من المكاشفات الغيبية والفتوحات الباطنية إلا النزر القليل ممن خلص روحه وصفا قلبه"[1].

ويؤكد جعفر السبحاني في جواب له أن الاتصال بعالم الغيب والاطلاع على ما فيه من المعارف والحقائق ليس ممتنعًا، ويرى بأن الفتوحات العينية من مكاشفات ومشاهدات روحية لم يوصد بابها، وإنما أوصد باب النبوة فقط الذي يحمل الوحي التشريعي والتبليغي. أما الفتوحات الباطنية من المكاشفات والإلقاءات في الروع غير مسدودة[2].

ويستدل الإمامية بحصول العلم اللدني للإنسان عن طريق المكاشفة بما حصل للخضر صاحب موسى عليه السلام، فقد ذهبوا إلى أن الخضر كان ينكشف له عمل يريد أن يعمله في المستقبل فيذهب للعمل وهو عالم خبير بما يعمل، مع وجود موسى عليه السلام، فلم يرجع إلى شريعته.

وعلى ذلك فقد قرروا أن المكاشفة هي العلم اللدني من جانب الرب تبارك وتعالى يؤتيها لمن يشاء[3] وأن الشخص الذي يحصل له المكاشفة تكون في حقه مصدرًا في إثبات الغيبيات وغيرها من الأمور والعقائد.

المطلب الثالث: نقد منهج الإمامية الاثني عشرية في الاستدلال بالكشف في إثبات الغيبيات:

يُرد على منهج الإمامية في الاستدلال بالكشف في إثبات الغيبيات عليه بما يلي:

1- أنه قد ورد عن أئمتهم إنكارهم علم الغيب عن أنفسهم، وقد جاء ذلك في كتبهم المعتمدة، وقد بينا سابقًا شيئًا من هذه الأقوال، ونذكر هنا بعضها.

---

[1] السبحاني، جعفر، **محاضرات في الإلهيات**، تلخيص: علي الرباني،) قم، مؤسسة الإمام الصادق، ط.د، ت.د)، ص84.

[2] ينظر: السبحاني، جعفر، **أضواء على العقائد الشيعية الإمامية**، ص555.

[3] ينظر: التبريزي، محمد حسين، **المكاشفات**، ص55-56.

فمنها ما جاء من خبر الخليفة المنصور أنه قال لأبي عبد الله: "أنت تزعم للناس يا أبا عبد الله أنك تعلم الغيب، قال: "ومن أخبرك بهذا؟، قال: هذا الشيخ، قال: "أفحلّفه يا أمير المؤمنين"، قال: نعم. فلما بدأ الشيخ باليمين قال أبو عبد الله للشيخ: "قل أبرأ إلى الله من حوله وقوته وألجأ إلى حولي وقوتي إن لم أكن سمعتك تقول هذا"، فتلكأ الشيخ، فرفع المنصور عمودًا كان في يده فقال: والله لئن لم تحلف لأعلونك بهذا العمود، فحلف الشيخ فما أتم اليمين حتى دلع لسانه، كما يدلع الكلب ومات لوقته"[1].

ومما خرج عن صاحب الزمان- كما يزعمون- ردًا على الغلاة من التوقيع جوابًا لكتاب كتب إليه على يدي محمد بن علي بن هلال الكرخي: "يا محمد بن علي! تعالى الله وجلّ عما يصفون، سبحانه وبحمده، ليس نحن شركاءه في علمه، ولا في قدرته، بل لا يعلم الغيب غيره، كما قال في محكم كتابه تباركت أسماؤه: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ ﴾ [النمل:65].وأشهدك وأشهد كل من سمع كتابي هذا أني بريء إلى الله وإلى رسوله ممن يقول: إنا نعلم الغيب، ونشارك في ملكه"[2].

2- أنه قد ورد عن أئمتهم- في كتبهم المعتمدة- أنهم كانوا يطلبون من الله تعالى أن ينير بصائرهم وقلوبهم، وهذا إنما يدل على عدم حصول ذلك لهم، إذ كيف يكون متحصلًا عليه، ويدعو ربه، ويجتهد في دعائه أن يوصله إلى هذه المرتبة، وهي مرتبة الكمال الإنساني الذي ادّعاه الشيعة لأئمتهم؟! ومن ذلك ما جاء من- عندهم- في "المناجاة الشعبانية" المنسوبة للإمام علي ﷺ: "..إلهي هب لي كمال الانقطاع إليك، وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك، حتى تخرق أبصار القلوب حجب النور فتصل إلى معدن العظمة، وتصير أرواحنا معلقة بعز قدسك.. إلهي أتحفني بنور عزك الأبهج فأكون لك عارفًا، وعن سؤالك منحرفًا..."[3].

وكذلك جاء في "الصحيفة السجادية" المنسوبة إليه قوله: "...إلهي فاجعلنا من الذين ترسخت أشجار الشوق إليك في حدائق صدورهم، وأخذت لوعة محبتك بمجامع قلوبهم، فهم إلى أوكار الأفكار يأوون، وفي رياض القرب والمكاشفة يرتعون، ومن حياض المحبة بكأس الملاطفة يكرعون، وشرائع الصفات يردون، قد كشف الغطاء عن أبصارهم، وانجلت ظلمة الريب عن عقائدهم وضمائرهم، وانتفت مخالجة الشك عن قلوبهم وسرائرهم،

---

[1] المازنداراني، محمد بن علي بن شهر آشوب، **مناقب آل أبي طالب**، (إيران، ط.د، 1313هـ)، ج3، ص67، والمجلسي، محمد باقر، **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار**، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط3، 1403هـ)، ج47، ص164.

[2] الكاشاني، إبراهيم بن المحسن، **الصحيفة الهادية والتحفة المهدية**، (قم، مدرسة الإمام المهدي، ط.د، ت.د)، ص236، الطبرسي، أحمد بن علي بن أبي طالب، **الاحتجاج**، تعليق: محمد باقر الخرسان، (بيروت، مؤسسة الأعلمي، ط.د، 1401هـ)، ج2، ص288-289، والمجلسي، محمد باقر، **بحار الأنوار**، ج25، ص267.

[3] المجلسي، محمد باقر، **بحار الأنوار**، ج91، ص99.

وانشرحت بتحقيق المعرفة صدورهم..."[1].

3- أن هذه المسائل- الكشف والمشاهدات ونحوها- قد تمسك بها الإمامية نتيجة تأثرهم بالفكر الصوفي الغالي الذي نشأ بتعاون الحلقات الشيعية وفلسفة الإشراق أثناء العهد الصفوي في إيران.

وسبب ذلك اهتمامهم وشرحهم لأفكار ابن عربي[2]، أو الخلط بين فلسفة الإشراق وفلسفة ابن عربي والتشيع، حتى مُزج لنا هذا الفكر الغريب، حيث إن فلسفة الإشراق نشأت أصلًا كواحدةٍ من المحاولات التي سعت نحو الجمع بين منهج الذوق ومنهج النظر، أو بتعبير آخر بين التأمل الوجداني ومنهج الحكمة وبين منهج البحث العقلي.

وهذا ما قام به السهروردي فعلًا، حيث حاول الجمع بين المنهج العقلي الخالص عند علماء الكلام، وبالذات عند المعتزلة منهم، وبين المنهج الذوقي الصوفي المجرد عند الصوفية لكي يتعانق القلب الصوفي، والعقل الكلامي، القلب الذي يدعي الكشف والشهود، ومعرفة أبعد الحقائق بالتأمل الذاتي والذوق الروحي، والعقل الذي يزعم قدرته على حل الألغاز بالتفكير المنهجي والتجربة الواقعية معتمدًا على المنهج الذي سلكه الفلاسفة من قبله- وخاصة ابن سينا[3]-حيث أقام مذهبه الإشراقي على نظرية الفيض من الجانب الوجودي، وعلى تجريد النفس من الشواغل الحسية من الجانب النفسي[4].

ولذا فقد بيّن المدرسي أن فلسفة الإشراق هي طريقة في التفكير تعتمد على الوجدان والفطرة، وقد تتجلى هذه الفلسفة مرتين:

الأولى: عندما تكون الثقافة في عهد الطفولة، حيث لم تجر لها عملية الفرز بينها وبين الأسطورة، وبينها وبين الدين، وبينها وبين نظرة الناس ووجدانهم. هناك يتناسب المنهج الإشراقي القائم على أساس الكشف مباشرة والذوق يتناسب مع إيمان الناس بالأساطير أو بالدين أو بثقافات فطرية!

ومع أن هناك فرقًا بين الأسطورة، فهي تعبير رمزي عن الحقائق وبين الدين المتمثل في الوحي المباشر، والثقافة الفطرية التي تقدم مجموعة بسيطة من الحقائق الواضحة قائمة على أساس اكتشاف عقل البشر!

---

[1] الجزائري، نعمة الله، **نور الأنوار شرح الصحيفة السجادية: زبور الأئمة الأطهار**، زبور الأئمة الأطهار، (ط.د، 1316هـ)، ص309-311.

[2] محمد بن علي بن محمد بن عربي الطائي الأندلسي، أحد أشهر المتصوفين، توفي سنة 638هـ. ينظر الذهبي، محمد بن أحمد، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2، 1402هـ): 46/23.

[3] أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا، عالم وطبيب مسلم من بخارى، اشتهر بالطب والفلسفة واشتهر بهما، توفي سنة 427هـ. ينظر: الذهبي، محمد بن أحمد، **سير أعلام النبلاء**، ج17، ص531.

[4] ينظر: أبو ريان، محمد، **أصول الفلسفة الإشراقية عند شهاب الدين السهرودي**، (مصر، دار المعرفة الإسلامية، ط. د، 1414هـ)، ص171.

الثانية: عندما يتعب الفكر البشري تمامًا مثلما حدث عندما تعبت البشرية من المنهجية العقلية عند اليونان فاتجهت مدرسة الإسكندرية شرقًا وفتشت عن حركة الإشراق في إيران عبر أمونيس، أو أفلوطين، وخلطتهما بالفكر المشائي، وابتدعت الأفلاطونية الحديثة.

وبالتالي يجمع بين رأي من قال بأصالة المبدأ أو الاستقلالية بين كل فلسفة وأخرى وبين من نفى أي نوع من الأصالة، وأن هناك صلة وثيقة وارتباطًا مباشرًا، وغير مباشر بين الفلسفات.

ولذا فإن شهرة فلسفة السهروردي تعود إلى رفض المنهجية الجامدة عند الفلاسفة المشائين المجادلين من علم الكلام[1].

وفي الواقع فقد أثّر فكر السهروردي وعلى مدى التأريخ على عدة علماء ولاقت فلسفته الإشراقية أرضًا خصبة، وقوبلت بصدر رحب من قبل علماء الإمامية وقاموا بشرح أفكار ابن عربي وخلطها بفلسفة الإشراق والتشيع في آن واحد. فقد وقع انبعاث كبير لهذه الفلسفة بين القرن الخامس عشر والقرن السادس عشر الميلاديين، إذ شرح أفكار ابن عربي كلًا من: جلال دواني، وغياث الدين منصور الشيرازي، وبهاء الدين العاملي، ومير داماد المدرسي بأصفهان، اللذين تتلمذ عليهما ألمع فلاسفة العهد الصفوي ملا صدرا الشيرازي الذي كان يدرس كتاب حكمة الإشراق بصورة مخصوصة.

والمتتبع بعد ذلك لمكان التراث الفلسفي يرى أنه لم يلق أرضًا خصبة إلا عند الإمامية الاثني عشرية.

بل زاد على ذلك تطور هذه الفلسفات وإعطائها الصبغة الشيعية حتى أصبحت فلسفة مستقلة في حد ذاتها كما قرر الخميني الذي ذكر أن نسبة فلسفة الحكماء والذين ظهروا في الإسلام والمعارف الواردة على لسان أهل المعرفة إلى حكماء اليونان إنما هو من الجهل بكتب فلاسفة الإمامية كالشيرازي، وأستاذه الدماد، وتلميذه الفيض الكاشاني، وسعيد القمي.. وغيرهم[2].

وهذه الفلسفة الإشراقية تقوم على القول بإمكان تصفية النفس وتجريدها بالرياضيات والمجاهدات لترتقي وتلتقي مع المصدر الأول حتى تفيض عليها العلوم والمعارف.

فالقول بهذه الفلسفة وما تتضمنه من قضايا تستلزم الكثير من العقائد المعلوم بطلانها بالضرورة، فهذه الفلسفة يترتب عليها القول بوحدة الوجود، والحلول والاتحاد[3].

---

[1] ينظر: المدرسي، محمد تقي، **العرفان الإسلامي بين نظريات البشر وبصائر الوحي**، (لبنان، دار البيان العربي، ط2، 1992م)، ص114-117.

[2] الخميني، روح الله الموسوي، **التعليقة على الفوائد الرضوية**، (إيران ' مطبعة مؤسسة عروج، ط1، 1375م)، ص12.

[3] الفرق بين الحلول، ووحدة الوجود أن الحلول هو وجود حقيقتين مختلفتين "الإلهية" و"البشرية" وقيام الأولى بالثانية تحت ظروف خاصة، بينما يرى =

كذلك يترتب عليها القول بالوحي الإشراقي، وأن النبوة مكتسبة، يتحصل عليها بالطلب، والاجتهاد، كما أنها مؤثر قوي للقول بالعلم اللدني، ولذلك نجد أن الخميني قد تأثر فكره بمن كان قبله من علمائه، وبفلسفتهم الإشراقية حتى أنه صرح بالقول بالحلول والاتحاد، وهذا ما يتجلى صراحة في كتابيه "مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية" و"سر الصلاة"، وهي من كتبه التي ألفها على الطريقة الفلسفية العرفانية. فنجده يقول في الإمام علي ﷺ: ".. القائم مقام في الملك، والملكوت المتحد بحقيقته في حضرة الجبروت واللاهوت، أصل شجرة طوبى، وحقيقة سدرة المنتهى، الرفيق الأعلى في مقام أو أدنى معلم الروحانيين، ومؤيد الأنبياء، والمرسلين، على أمير المؤمنين"[1]. والناظر في أقواله من خلال كتبه العرفانية يجده يكثر من النقل عن ابن عربي ليعزز مذهبه في وحدة الوجود، بل ويصفه بـ"الشيخ الكبير"[2].

ولذا فقد ألف كتابًا بعنوان "التوحيد عند الشيعة" وهو في الحقيقة تقرير لمفهوم الشرك، ونفي التوحيد عند الإمامية! والأغرب من ذلك هو نقله لأقوال الفلاسفة الإشراقيين وغيرهم فيه: كسقراط الإلهي –كما يطلق عليه[3]– وأرسطو الإلهي –كما يصفه[4]– والسهروردي الحكيم كما ينعته[5] –والملا صدرا صدر المتألهين– كما يسميه[6] وديكارت[87].

وأما دعواهم بأن الإنسان ترقى روحه بالرياضة، فتأخذ العلوم من المعدن الأصلي لها، وهو المصدر نفسه الذي يأخذ منه الملك الذي يُوحى به إلى الأنبياء، لذا قال بعضهم بالوحي الإشراقي.

=

أصحاب وحدة الوجود وحدة ذاتية لجميع الأشياء مع تعدد مظاهرها، أما الاتحاد فهو يطلق بطريق المجاز على صيرورة شيء شيئًا آخر بطريق التغيير، والانتقال دفعيًا كان، أو تدريجيًا كما يقال: صار الماء هواءً، والأسود أبيض، ويطلق أيضًا بطريق المجاز على صيرورة شيء شيئًا آخر بطريق التراكيب وهو أن ينضم شيء إلى شيء آخر ثانٍ فيحصل منهما شيء ثالث كما يقال: صار التراب طينًا، والخشب سريرًا، ولا شك في وقوع الاتحاد بهذين المعنيين وأما ما هو المتبادر منه عند الإطلاق وهو المفهوم الحقيقي له وهو أن يصير شيء بعينه شيئًا آخر من غير أن يزول عنه شيء، أو ينضم إليه شيء فهذا المعنى باطل بالضرورة. ينظر: الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى، **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، ص37–38.

[1] الخميني، روح الله الموسوي **مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية**، (بيروت، مؤسسة الوفاء، ط1، 1403هـ)، ص1.

[2] ينظر: الخميني، روح الله الموسوي **مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية**، ص84، 94، 112.

[3] ينظر: الخميني، **التوحيد عند الشيعة**، (بيروت، مركز باء للدراسات، ط1، 2001م)، ص25.

[4] ينظر: الخميني، **التوحيد عند الشيعة**: ص26.

[5] ينظر: **المصدر نفسه**: ص25–26.

[6] ينظر: **المصدر نفسه**: ص38.

[7] يعتبر ديكارت رائد الفلسفة في العصر الحديث، حيث سلك في الاستدلال طريقًا غير طريقة المدرسين، وكان يؤكد على فطرية الحقيقة، لكنه مع ذلك كان يشك في الحواس. ينظر: بدوي، عبد الرحمن، **موسوعة الفلسفة**، (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1984م)، ج1، ص488–499.

[8] ينظر: الخميني، **التوحيد عند الشيعة**، ص26.

وهو أن النبي عندهم يأخذ من الخيالات التي تمثلت في نفسه لما صدرت له المعاني العقلية في الصور الخيالية وتلك الصور عنده هي الملائكة، وهي بزعمهم تأخذ عن عقله المجرد قبل أن تصير خيالًا، ولهذا يفضلون الإمامة على النبوة، ويجعلون الأئمة أعظم من الأنبياء، فلا فرق بين التصوف والتشيع في هذا المبدأ والمعتقد الذي بني عليه المنهج العرفاني.

ولذا فقد كان الواجد من هؤلاء يطلب أن يصير نبيًا كما كان ابن سبعين[1] والسهروردي الذي يقتدي به الكثير من الإمامية[2]، بل نجد إمامهم الخميني قد تأثر بهذه العقيدة تأثرًا بالغًا، حيث رسم للسالك أسفارًا أربعة:

ينتهي السفر الأول إلى مقام الفناء- حسب زعمه- وفيه السر الخفي والأخص ويصدر عنه الشطح، فيحكم بكفره، فإن تداركته العناية الإلهية فسيقر بالعبودية.

وينتهي السفر الثاني عنده إلى أن تصير ولايته تامة، وتفنى ذاته وصفاته وأفعاله في ذات الحق وصفاته وأفعاله، وفيه يحصل الفناء عن الفنائية أيضًا الذي هو مقام الأخص، وتتم دائرة الولاية.

أما السفر الثالث: فإنه يحصل له الصحو التام ويبقى بإبقاء الله، ويسافر في عوالم الجبروت والملكوت والناسوت، ويحصل له خط من النبوة، وليس له نبوة التشريع، وحينئذ ينتهي السفر الثالث ويأخذ في السفر الرابع والذي فيه يكون نبيًا بنبوة تشريع[3].

وهذا كله اعتقاد باطل مردود بآيات القرآن الكريم، وما ذكره الله تعالى من أن النبوة اصطفاء إلهي، واختيار من الله تعالى. لذا قال القاضي عياض رحمه الله تعالى: "ونكَفِّر.. من ادعى نبوة أحد مع نبينا ﷺ.. أو من ادعى النبوة لنفسه، أو جوّز اكتسابها والبلوغ بصفاء القلب إلى مرتبتها كالفلاسفة وغلاة الصوفية"[4].

ولو نظر الإمامية بعين متبصّرة، لوجدوا أن هذا القول يؤدي إلى أن الإمامة أمر مكتسب كذلك، وليست اصطفاءً إليها، مما يؤدي إلى سقوط مذهب الإمامية بالكلية.

4- أن ما يقع من المخاطبات والمحادثات ونحوها له ثلاثة مصادر:

---

[1] ينظر: تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **درء تعارض العقل والنقل**، تحقيق: محمد رشاد سالم، (الرياض: مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود، ط1، 1403)، ج5، ص22.

[2] ينظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **منهاج السنة النبوية**، تحقيق محمد رشاد سالم، (مطابع جامعة محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط1، 1406هـ)، ج8، ص23-24

[3] ينظر: الخميني، **مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية**، ص148-149.

[4] القاضي عياض بن موسى اليحصبي، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، تحقيق: علي محمد البجاوي، (مطبعة عيسى البابي الحلبي، د.ط، د.ت). ج2، ص237-238.

1- مخاطبة الملك خطابًا جزئيًا، وقد يقع لغير الأنبياء وهو إما سماع في الأذن أو إلقاء في القلب.

2 – مخاطبة الجان وهو ما يسمى بالهواتف، وهو كذلك إما سماع في الأذن أو إلقاء وتمني في القلب، وقد يكون الجان صالحًا أو فاسقًا أو ماردًا.

3 – مخاطبة النفس، وهذا خطاب حالي يبدأ من النفس، ويعود إليها، فيتوهم صاحبه أنه من الخارج، وإنما هو من نفسه.

فإن للملك قوة وللنفس قوة وللشيطان قوة، فما كان من الملك فهو حق، وما كان من الشيطان ووسوسة النفس فهو باطل، وقد اشتبه هذا بهذا على طوائف كثيرة، فلم يفرقوا بين أولياء الله وبين أعدائه، بل صاروا يظنون فيمن هو جنس المشركين أنه من أولياء المتقين[1].

فالذين لهم مكاشفات ومخاطبات قد يسمعون ويرون ماله وجود في الخارج، إذا كان التمثيل من الشيطان، وقد لا يكون له وجود إلا في النفس- إذا كان التمثيل في النفس- وما كان من تمثيل الشيطان قد يسمى نفسه بأسماء كمن يقول: أنا محمد، وأنا جبريل أو أنا أبو بكر، أو أنا الشيخ فلان أو فلان ممن يحسن الظن بهم، فمن يرى هذه الأشخاص ويظن أنها حقيقة، فهو صادق في رؤياه، لكنه غلط في ظنه أنها حقيقة بل هي تمثيل الشيطان وتضليله[2]. وهذا المخاطب لديه دليل يفرق به بين ما هو رحماني وما هو شيطاني وربما يكون صادقًا فيما يراه أو يسمعه، ولكنه غير متيقن من جهته ومصدره. ولذا يقول أبو مظفر السمعاني رحمه الله تعالى: "وكل شيء احتمل أن لا يكون حقًا لم يوصف بأنه حق"[3]، وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: "وغير المعصوم لا ثقة بخواطره؛ لأنه لا يأمن وسوسة الشيطان"[4].

وبعض الخوارق يظن أنها كرامات، فإنه لا يقين لديه أو لدى أحد من الخلق أنها من الله وليست من الشيطان، وعلى ذلك فليست حجة عليه ولا على غيره، ولا مسوغ للاعتماد عليها، والاستدلال بها، يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: "ليس من شرط ولي الله أن يكون معصومًا لا يغلط، ولا يخطئ.. ويجوز أن يظن الولي في بعض الخوارق أنها من كرامات أولياء الله تعالى وتكون من الشيطان للبسها عليه لنقص درجته ولا يعرف أنها من

---

[1] ينظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **مجموع فتاوى ابن تيمية**، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، (الرباط، مكتبة المعارف، ط.د، ت.د)، ج10، ص/613.

[2] ينظر: **مجموع فتاوى ابن تيمية**، ج13، ص71-78، ج11، ص278-289.

[3] نقلًا عن:العسقلاني، ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، أشرف على التصحيح والتحقيق: عبد العزيز بن باز، (السعودية، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ط.د، ت.د)، ج12، ص388.

[4] الشنقيطي، **محمد الأمين**، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، (السعودية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ط.د، 1403هـ) ج4، ص159.

الشيطان، وإن لم يخرج بذلك عن ولاية الله تعالى..."[1].

4- أن كل من كان في هذه الأمة من أهل المكاشفات والمحادثات والإلهامات فهو دون عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فقد ثبت بالأحاديث الصحيحة أنه محدث هذه الأمة[2]، فأي محدث ومخاطب في أمة محمد ﷺ فعمر رضى الله عنه أفضل منه، ومع هذا فقد كان عمر يفعل ما هو الواجب عليه، فيعرض ما يقع له على ما جاء به الرسول ﷺ وينشد لذلك الرجال والنساء والأعراب فإذا أخبروه عن رسول الله ﷺ بشيء لم يلتفت بعد ذلك إلى محادثاته ومخاطباته، بل يقول: لو لم نسمع بهذا لقضينا بغيره، ولم يؤثر عنه أنه كان يقول:حدثني قلبي عن ربي، بل المشهور عنه أنه كان أكثر الناس مشاورة لأصحابه يراجعهم ويراجعونه، ويحتج عليهم بالكتاب والسنة، ويحتجون عليه، ويرجعون جميعًا إليهما ويردون ما اختلفوا فيه إليهما[3].

وعليه، فإن على كل ولي- وإن بلغ في الولاية إلى أعلى مقام، وأرفع مكان- أن يكون مقتديًا بالكتاب والسنة، تابعًا لهما، وازنًا أفعاله وأقواله وجميع أحواله بميزان هذه الشريعة المطهرة، واقفًا على الحد الذي رسم فيها، غير زائغ عنها في شيء من أموره[4].

5- أما استدلالهم على حصول العلم اللّدني للإنسان والاستغناء به عن الشرع بقصة الخضر، فلا يصح لهم وذلك لأمور منها:

الأول: أن النبي ﷺ قد بعثه الله للناس كافة، ورسالته عامة للثقلين الإنس والجن، وهي باقية إلى يوم القيامة، ولا يسع أحدًا من الخلق إلا متابعته وملازمة شريعته، وقد أخذ الله على النبيين هذا الميثاق فقال: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران:81]. وموسى وعيسى عليهما السلام لو كانا موجودين لكانا متبعين للنبي ﷺ، فقد قال النبي ﷺ وهو ينكر على عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو سيد المحدثين[5] حين أمسك بصحيفة من التوراة: «أمتهوكون يا ابن الخطاب؟ لقد جئتكم بها

[1] ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **مجموع الفتاوى**، ج1، ص65.

[2] البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، (دار الدعوة، ط.د، ت.د)، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب ﷺ، رقم (3689)، ج7، ص42.

[3] ينظر: **مجموع فتاوى ابن تيمية**، ج11، ص206، وابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن قيم الجوزية، **مدارج السالكين**، تحقيق: محمد حامد فقي، (دار الكتاب العربي: بيروت، ط 2، 1393هـ)، ج1، ص496.

[4] ينظر: وابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن قيم الجوزية، **مدارج السالكين**، تحقيق: محمد حامد فقي، (دار الكتاب العربي: بيروت، ط 2، 1393هـ)، :ص655-678.

[5] الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل الشيباني، **مسند الإمام أحمد**، (المكتب الإسلامي، دار صادر: القاهرة، ط1، 1389هـ-1969م)، ج3، ص387، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، والحديث حسنه الألباني في إرواء الغليل، الألباني، محمد ناصر الدين ، **إرواء الغليل في** =

بيضاء نقية، لو كان موسى حيًا ما وسعه إلاّ إتباعي»[1].

وثبت في الأحاديث الصحيحة أن عيسى عليه السلام حين ينزل من السماء إلى الأرض في آخر الزمان فإنه يكون متبعًا لشريعة النبي ﷺ، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم فأمكم منكم» وقد فسره ابن أبي ذئب- أحد رواته- بقوله: "فأمكم بكتاب ربكم- تبارك وتعالى- وسنة نبيكم ﷺ"[2].

الثاني: أن الشريعة التي كان عليها الخضر لم تكن في حقيقتها مخالفة للشريعة التي عليها موسى، أو إنما كان يخفي على موسى أسباب تلك الأفعال التي فعلها الخضر، ولذلك لما علمها لم ينكر عليه ثانية[3]، فليس للخضر ولا لغيره استثناء في الخروج على شريعة النبي ﷺ وعدم متابعته.

الثالث: على فرض أن ما فعله الخضر كان مخالفًا لما عليه موسى من العلم، فإن اختلاف الشرائع بين الأنبياء في وقت واحد كان أمرًا سائغًا قبل بعثته ﷺ فلم يكن موسى عليه السلام مبعوثًا إلى الخضر، ولم يكن الخضر مأمورًا بمتابعته، ولهذا لما قال موسى للخضر: "أنا موسى" قال الخضر: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، ثم قال الخضر: "يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه"[4]. فشريعة موسى لم تكن لازمة للخضر ولا لجميع الناس، ومن سوغ الخروج على شريعة النبي ﷺ واعتقد ذلك واستدل بهذه القصة فهو كافر باتفاق المسلمين، يقول شارح الطحاوية: "فمن ادعى أنه مع محمد ﷺ كالخضر مع موسى، أو جوّز ذلك لأحد من الأمة فليجدد إسلامه، وليشهد شهادة الحق، فإنه مفارق لدين الإسلام بالكلية، فضلًا عن أن يكون من أولياء الله، وإنما هو من أولياء الشيطان"[5].

= **تخريج أحاديث منار السبيل**، (المكتب الإسلامي - بيروت- لبنان، ط2، 1985م)، ج6، ص34 رقم الحديث (1589)

[1] ابن حنبل، أحمد، **مسند الإمام أحمد**، ج3، ص387؛ والبيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، **الجامع لشعب الإيمان**، تحقيق: عبد العلي حامد، (بومباي، الدار السلفية، ط1، 1406هـ) برقم 174، ج1، ص479، 480، وابن أبي عاصم، **السنة**، (حققه وخرج أحاديثه: الألباني، (المكتب الإسلامي، ط1، 1400هـ) برقم 50، ج1، ص27، وقال محققه: (حديث حسن، إسناده ثقات غير مجاهد وهو ابن سعيد فإنه ضعيف، ولكن الحديث حسن له طرق..).

[2] مسلم، أبو الحسين بن الحجاج، **صحيح مسلم**، (دار الدعوة، ط.د، ت.د)، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكمًا بشريعة نبينا محمد ﷺ:، رقم 155، ج1، ص137، وينظر: الأحاديث التي قبله، وراجع في ذلك كتاب: الكشميري، محمد أنور شاه الهندي، التصريح **بما تواتر في نزول المسيح**، ترتيب: محمد شنيع، تحقيق: د. عبد الفتاح أبو غدة، (حلب، مكتبة المطبوعات الإسلامية، ط3، 1401هـ -1981م)، ص231.

[3] ينظر: **مجموعة الفتاوى لابن تيمية**، ج11، ص426، 264.

[4] البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، كتاب التفسير، باب {وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح...}، حديث رقم (4725)، ج8، ص409.

[5] الحنفي، علي بن علي بن أبي العز، **شرح العقيدة الطحاوية**، (الطائف: مكتبة المؤيد، ط1، 1401هـ). ص511؛ وينظر: **مجموعة الفتاوى لابن تيمية**، ج11، ص263-264، 425-426.

المبحث الثاني: منهج الإمامية في الاستدلال بالإلهام في إثبات الغيبيات ونقده

المطلب الأول: تعريف الإلهام

الإلهام لغة: الإلهام مايلقى في الروع والروع هو القلب والذهن والعقل [1]

الإلهام اصطلاحا: "الإلهام هو أن يلقي الله في نفس الإنسان أمرا يبعثه على فعل الشيء أو تركه، وذلك بلا اكتساب أو فكر ولا استفاضة وهو وارد غيبي. "[2]

المطلب الثاني: منهج الإمامية في الاستدلال بالإلهام في اثبات الغيبيات

ذهب الإمامية إلى أن الإلهام هو ما يلقى في القلب بطريق الفيض فلا يجب إسناده واستناده إلى المعرفة بالنظر في الأدلة، ويقال لما يقع في النفس من عمل الخير إلهام، وما يقع من الشرور والأخير منه: وسواس وما يقع من الخوف: إيحاش، وما يقع من تقدير نيل الخير: أمل[3].

ويرى الإمامية أن الإلهام مصدر معرفي مستقل، وهو عندهم نوع من أنواع الوحي أو هو مساوٍ للوحي ومرادف له، يقول عبد الهادي الفضلي: "وعدّه بعضهم من أنواع الوحي. وعدّه آخرين رافدًا معرفيًا مستقلًا، وكيفما كان الأمر، فالإلهام مصدر آخر من مصادر المعرفة كالوحي"[4].

والإلهام عندهم هو الطريق إلى العلم اللدني، ولذا يقول الإمامي محمد بن أحمد خواجوي في العلم اللدني: "العلم اللدني هو العلم في الأعيان والحقائق الثابتة في الحضرة العلمية، أي العلم بسر القدر وعند المشهور المراد منه هو العلم الإلهي وهو استفاضة النفس بحسب صلاحها، وجلائها، واستعدادها إما بواسطة الرياضة والمجاهدة والتزكية، وإما بواسطة الفطرة السليمة، والاستعداد الأصلي الإلهي عما في اللوح أي النفس الكلية، فالإلهام كالضوء في سراج الغيب يقع على قلب صاف فارغ مجلو؛ لأن العلوم كلها موجودة في النفس الكلية التي من الجواهر المفارقة الأولية، فمن إشراق النفس الكلية يتولد الإلهام، كما أن الوحي يتولد من إفاضة العقل الكلي، لذا كان الوحي أقوى وأصرح من الإلهام؛ لأن العقل الكلي أشرف من النفس الكلية كنسبة حواء إلى آدم.."[5].

وقد جعل الإمامية العلم اللدني الحاصل من طريق الإلهام من أسباب العصمة، وهذا ما قرره المجلسي

---

[1] ينظر الجوهري، **الصحاح**، ج3، ص1223، ابن منظور، **لسان العرب**، ج12، ص555

[2] صليبيا، د. جميل، **المعجم الفلسفي**، (دار الكتاب اللبناني، 1994م)، ج2، ص84

[3] الشيرازي، علي خان المدني، **رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين**، تحقيق: محمد الحسيني الأميني، (قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ط4، 1415هـ)، ج1، ص318-319.

[4] الفضلي، عبد الهادي، **أصول البحث**، (قم، مؤسسة دار الكتاب العربي، ط.د، ت.د)، ص32.

[5] القونوي، أبو المعالي، **مفتاح الغيب**، تصحيح وتقديم: محمد خوا جوي، (طهران، مطبعة مصور، ط1، 1416هـ)، ص8 هامش رقم (1).

حيث جعل حصول العلوم للأئمة وتأكيدها بتتابع الوحي والإلهام من الله تعالى من أسباب حصول العصمة لهم[1]. ولذا فقد يبلغ بعض الأئمة مقام الإمامة من طفولتهم بسبب علومهم المحصلة من طريق الإلهام، يقول عبد الجواد الإبراهيمي: "إن أئمة أهل البيت عليهم السلام إضافة إلى ما كانوا يتعلمون من النبي ﷺ كانوا يتمتعون أيضًا بنوع من العلوم غير العادية التي تفاض عليهم من طريق -الإلهام- أو-التحديث- وبمثل هذا العلم بلغ بعض الأئمة الأطهار عليهم السلام مقام الإمامة في فترة طفولتهم، حيث كانوا يعلمون لكل شيء، ولم يحتاجوا للتعلم والدراسة لدى آخرين"[2].

والإمامية تارة يجعلون الإلهام نوع من أنواع الوحي -كما مر معنا- وتارة يفرقون بينهما بفروق بسيطة منها:

1- أن الإلهام يحصل من الحق تعالى من غير واسطة الملك، والوحي يكون بواسطة.

2- أن الوحي من خواص الرسالة والإلهام من خواص الولاية.

3- أن الوحي مشروط بالتبليغ دون الإلهام.

4- أن الإلهام يكون بالنكت والنقر في الأسماع، والوحي برؤية الملك[3].

وتقسم الإمامية الإلهام إلى نوعين: الأول: الإلهام الرباني.الثاني: الإلهام الشيطاني.

فأما الإلهام الرباني فهو قسمان:

أ - إلهام فطري: ومنه ما يختص بالعقائد، ومنه ما يختص بالأخلاق.

ب - إلهام إمامي: ومنه ما يختص بالأئمة الاثني عشرية، ومنه ما يختص بأصحاب العرفان.

فأما الإلهام الفطري الذي يختص بالعقائد فقد استدل به الإخباريون من الإمامية على أن أول واجب على المكلف هو الإقرار بالشهادتين وعارضوا بذلك قول الإمامية بأن أول واجب على المكلف هو معرفة الله، فيقول الاسترابادي: "من الأمور الفطرية التي وقعت في القلوب بإلهام فطري إلهي.. وتوضيح ذلك: أنه تعالى ألهمهم بتلك القضايا، أي خلقها في قلوبهم وألهمهم بدلالات واضحة على تلك القضايا، ثم أرسل الرسول وأنزل عليه الكتاب فأمر فيه ونهى.

وبالجملة إنه لم يتعلق بهم وجوب، ولا غيره من التكليفات إلا بعد بلوغ خطاب الشارع، ومعرفة الله تعالى

---

[1] ينظر: المجلسي، محمد باقر، **بحار الأنوار**، ج17، ص93-94.

[2] الإبراهيمي، عبد الجواد، **نظرة حول دروس في العقيدة الإسلامية**، (قم، مطبعة بهمن، ط1، 1317هـ)، ص179.

[3] ينظر: المظاهري، **الفضائل والرذائل الأخلاقية والتأمل في الآيات الإلهية**، (قم، مركز المعجم الفقهي، ط.د، ت.د) ص60؛ وينظر: العسكري، أبو هلال، **الفروق اللغوية**، تحقيق: حسام الدين القدسي، (دار الكتب العلمية: بيروت، ط1، 1401هـ-1981م)، ص69.

قد حصلت لهم قبل بلوغ الخطاب بطريق الإلهام بمراتب، وكل من بلغته دعوة النبي ﷺ يقع في قلبه من الله تعالى يقين على صدقه، فإنه تواترت الأخبار عنهم عليهم السلام بأنه ما من أحد إلا وقد يرد عليه الحق، فأول الواجبات الإقرار اللساني بالشهادتين.

وكذلك تواترت الأخبار عنهم عليهم السلام بأنه على التعريف والبيان، وعلى الخلق أن يقبلوا ما عرفهم الله تعالى، وطريق التعريف والبيان أنه تعالى أولًا يلهمهم بتلك القضايا، وكذلك يلهمهم بدلالات واضحة عليها صادعة قلبهم، ثم بعد ذلك تبلغهم دعوة النبي ﷺ، والدلالة على صدقه، ثم بعد ذلك يجب الإقرار أي الاعتراف اللساني، ثم الاعتراف القلبي بالشهادتين، وبباقي ما جاء به النبي ﷺ إجمالًا.. ويفهم من كلامهم عليهم السلام أن الاعتراف والإقرار القلبي، أمر مغاير للمعرفة التصديقية التي بها يرتفع الشك والتردد، وان الأول فعل مطلوب من العبد، وأن الثاني من خلق الله في القلوب"[1]. ويقول المجلسي: "الذي يظهر من الأخبار هو أن الله تعالى قرر عقول الخلق على التوحيد، والإقرار بالصانع في بدء الخلق عند الميثاق، فقلوب جميع الخلق على التوحيد وإن جحدوه معاندة"[2].

إلا أن الإمامية الأصوليين يرون أن الإلهام الفطري هو القابلية للتوحيد ومعناه أن الإنسان في عمق روحه توحيد مع إمكانيات المعرفة الشعورية بوجود الله تعالى[3].

فالأدلة الفطرية هي المعارف التي توجد في الإنسان على شكل قوة واستعداد منذ أول زمان خلقته، والتي تتحول فعلا بازدهار الفطرة بعد إعمال الدليل العقلي فيها[4].

أما ما يختص من الإلهام الفطري بمسائل الأخلاق فالمقصود به ما يستحسنه الإنسان من الأخلاق والصفات الحميدة وما يستقبحه من الأخلاق والصفات السيئة، يقول محمد ري شهري: ".. إن الشعور بالميل إلى الفضائل والنفور من الرذائل يعتبر من وجهة نظرة القرآن إلهامًا إلهيًا، حيث ورد في القرآن الكريم: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس:7-8] وهذا الشعور، أو هذا الإلهام يشكل الحجر الأساسي في الهداية المعرفية التي وهبها الباري تعالى للإنسان.."[5].

أما القسم الثاني من الإلهام الرباني وهو الإلهام الإمامي.

---

[1] الاسترابادي، محمد أمين بن محمد، **الفوائد المدنية**، (إيران: د.ط، 1321هـ). ص407-408.

[2] المجلسي، محمد باقر، **بحار الأنوار**، ج3، ص277.

[3] ينظر: الإبراهيمي، عبد الجواد، **نظرة حول دروس في العقيدة الإسلامية**، ج3، ص32.

[4] ينظر: شهري، محمد ري، **مباني المعرفة**، (دار المرتضى: بيروت، ط2، 1413هـ)، ص208.

[5] شهري، محمد ري، **العقل والجهل في الكتاب والسنة**، (بيروت، دار الحديث للطباعة والنشر، ط1، 1421هـ)، ج20، ص21.

فإنه ينقسم إلى قسمين:

الأول: ما يختص بأئمة الشيعة الاثني عشر. ويقصد به ما اختص به أئمتهم من العلوم التي حصلت لهم عن طريق الإلهام الإلهي، وهو أن علم الأئمة فيه ما هو من الله مباشرة عن طريق الإلهام، ومنه ما هو مأخوذ بواسطة النبي ﷺ.

وهذا الإلهام الإمامي هو سبب عصمة الأئمة وهو ما جعل أقوالهم مثل قول النبي ﷺ عند الإمامية.

وعلى ذلك فإن هذا الإلهام حجة عند الإمامية في الاستدلال به لإثبات الأمور الغيبية والعقائدية.

والثاني: ما يختص بمتبعي المنهج العرفاني.

وهم أصحاب المكاشفات والمشاهدات والملهمين، فإن هذا النوع حجة عند الإمامية، يقول المازندراني: "إنه ألهم عباده حمده على ذاته المنزهة عن لواحق الإمكان، وصفاته المقدسة عن الزيادة والنقصان، ونعمائه الفائضة على الإنسان والجان.."[1].

ويقول المظاهري في بيان هذا النوع من الإلهام: "إن للمؤمن إلهامًا استنادًا إلى الروايات وإلى القرآن الكريم بهذا الخصوص. الملائكة تهدي المؤمن إلى طريق الصواب، فإذا كانت علاقته بالله جيدة، وقوية، فإنه يستطيع بنفسه اكتشاف طريقه.. والذين تشملهم رعاية الله، حيث ينقلهم من الظلمات إلى النور، يتجلى نور الله في قلوبهم: ﴿وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [المائدة:16]، فالله وبواسطة القرآن يبين لهم طريق الاستقامة ذلك الطريق الذي ينتهي إلى الجنة"[2].

وعلى ذلك يرى الإمامية أن الإلهام قد يحصل بقراءة سور من القرآن أو آيات مخصوصة بأعداد مخصوصة يحصلون بعد ذلك على الإلهام، فقد روي من طريقهم أن من قرأ الناس، فله شفاء من كيد الشيطان ورحمة بالثبات على الإلهام[3].

ووصل الأمر عندهم أن الإلهام قد يطلب بمجرد القراءة على ماء مطهر شهر نيسان فاتحة الكتاب سبعين مرة، وآية الكرسي سبعين مرة، وقل هو الله أحد سبعين مرة، وقل أعوذ برب الفلق سبعين مرة، وقل أعوذ برب الناس سبعين مرة، وقل يا أيها الكافرون سبعين مرة، ويشرب من ذلك الماء غدوة وعشية سبعة أيام متواليات، فقد نسبوا إلى النبي ﷺ أنه قال: «وقال لي جبريل عليه السلام: والذي بعثك بالحق من يقرأ هذه الآيات على هذا الماء ملأ الله تعالى قلبه نورًا،

---

[1] المظفر، عبد المحسن بن عبد الله، **الشافي شرح أصول الكافي**، (النجف، مطبعة الغري، ط2، 1389هـ)، ج4، ص183.

[2] المظاهري، **الفضائل والرذائل**، ص59-60.

[3] ينظر: الطبرسي، حسين النوري، **مستدرك الوسائل**، (طهران، المكتبة الإسلامية، ط.د، 1382هـ)، ج4، ص371.

وضياءً، ويلقي الإلهام في قلبه، ويجري الحكمة على لسانه، ويحشو قلبه من الفهم، والتبصرة، ولم يعط مثله أحدًا من العالمين، ويرسل عليه ألف مغفرة، وألف رحمة، ويخرج الغش والخيانة والغيبة والحسد والبغي والكبر والبخل والحرص والغضب من قلبه والعداوة والبغضاء والنميمة والوقيعة في الناس، وهو الشفاء من كل داء»[1].

أما النوع الثاني من الإلهام فهو الإلهام الشيطاني وهو للعصاة وأهل الفسوق والمنكرات، وهو إلهام من قبل الشياطين.

ويفرق الإمامية بين الإلهام الشيطاني والإلهام الرباني ببعض الفروق التي تحصل للمكاشف مثل حصول الطمأنينة أو الفزع، وحصول السرور والفرح أو الحزن والفزع، وحصول النشاط أو حصول الكسل والنوم، وغيرها من الآثار التي يلاحظها المكاشف ويشعر بها[2].

وهذا النوع طبعًا ليس بحجةٍ ولا يستدل به عند الإمامية ولا عند غيرهم.

المطلب الثالث: نقد منهج الإمامية الاثني عشرية في الاستدلال بالإلهام في إثبات الغيبيات

يُرد على منهج الإمامية في الاستدلال بالإلهام عليه بما يلي:

1- الإلهام والكشف متقاربان في المعنى مع ما بينهما من فروق، ولذا فإنه يُرد على الاستدلال بالإلهام، بما يُرد به على الاستدلال بالكشف. فأصل المسألة أن علم الغيب لا يعلمه إلا الله، ولا يُطْلِعُ الله أحدًا على غيبه إلا بالقدر الذي شاءه جل وعلا. وعلى ذلك فليس الإلهام ولا الكشف حجة في إثبات أصول الدين والغيبيات بأي حال من الأحوال.

2- وقد ورد في كتبهم المعتمدة ومن الأقوال المنسوبة إلى أئمتهم أنهم كانوا يبتهلون إلى الله تعالى أن يرشدهم ويعرفهم طريق الحق وأن يغفر لهم ويتجاوز عنهم. فلو كان الأئمة قد وصلوا إلى أعلى مراتب الكمال الإنساني، بحيث صاروا معصومين من الأخطاء والذنوب، وصارت أقوالهم وأفعالهم وتقاريرهم بإلهام الله تعالى، فلمَ تصدر عنهم هذه الابتهالات والتضرعات المستميتة؟!

3- أنه يترتب على قول الإمامية بالإلهام الإمامي نبذهم للسنة، فقد جعلوا أقوال الأئمة مثل قول النبي ﷺ، بل مثل قول الله تعالى، كما مر معنا.

وعلى ذلك فقد اكتفوا من السنة ما بلغهم من طريق أئمتهم بحجة أنهم ملهمون وما يصدر منهم إلا حق سواءً كان قولًا أو فعلًا أو تقريرًا، وهم بذلك قد عطلوا جانبًا من المصادر الشرعية العظيمة التي لا يستغنى عنها

---

[1] ينظر: المجلسي، محمد باقر، **بحار الأنوار**، ج95، ص420-421.

[2] ينظر: قيصري، محمد داود، **شرح فصوص الحكم**، تحقيق: سيد جلال الدين آشتياني، (طهران، شركة انتشارات علمي، ط1، 1375هـ)

وهي سنة النبي ﷺ وهي شطر الوحي ونصفه الثاني، والعجيب أنهم عطلوا السنة الصحيحة بحججٍ ضعيفة لا نسلم لهم فيها أبدًا، ثم هم يأخذون دينهم من طرق غير صحيحة، بل غير موجودة أصلًا كما مر معنا، والحجة في ذلك أنها أخبار الأئمة الملهمون! فالحمد لله على نعمة اتباع السنة والأخذ بها.

المبحث الثالث: منهج الإمامية في الاستدلال بالرؤى والمنامات في إثبات الغيبيات ونقده

المطلب الأول: تعريف الرؤى

تعريف الرؤى لغة: جمع رؤيا، وهي مايرى في المنام، ورأى الرجل إذا حلم [1]

تعريف الرؤى اصطلاحا: هي إدراكات علقها الله تعالى في قلب العبد على يد ملك أو شيطان إما بأسمائها أي حقيقتها وإما بكناها أي بعباراتها، وإما تخليط من هذا وذاك [2]

المطلب الثاني: منهج الإمامية في الاستدلال بالرؤى والمنامات في إثبات الغيبيات

ذهب الإمامية الاثنا عشرية إلى أن الرؤيا مرتبطة بعالم الملكوت وهو عالم التجرد من المادة، يقول الإمامي فارس فقيه: "إن الرؤيا لها ارتباط وثيق بعالم المثل، أي عالم الملكوت، وهذا العالم واقع ما بين عالم المادة، وعالم التجرد، لذلك فالمادة التي تتكون في هذا العالم هي مادة ليست من النوع المألوف في عالم الطبيعة؛ لأنها مادة عالم المثل، وهذه المادة متفوقة من حيث الزمن والأبعاد والكيان، فيمكن اختصار الزمن في ثانية، يُمكنك بناء أطول ناطحة سحاب، أو مدينة كاملة في الخيال بثوانٍ متعددة.

وهذا الأمر يفتقر إليه عالم الطبيعة، كما أن الأشكال التي ينتجها عالم المثل والخيال، كما يسميه بعض العلماء غريبة الشكل وغير مألوفة، لذلك هي مادة قريبة من التجرد؛ مادة متحررة نوعًا ما من القيود، المفروضة في عالمنا المادي، لذلك فإن عالم الرؤيا هو عالم كبير وعميق بحد ذاته، فإذا ما استطاع الإنسان الغوص فيه واستكشاف أغواره حتمًا سيعود عليه بنفع هائل وخدمة عظيمة"[3].

وقد قسم الإمامية الرؤى المنامية إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما يقطع بصدقه.

القسم الثاني: ما يقطع بكذبه.

---

[1] ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج14، ص297

[2] ينظر: العسقلاني، ابن حجر، **فتح الباري**، ج12، ص352

[3] فقيه، فارس، **العلماء في عالم الرؤيا**، (قم، المطبعة الفيضية، ط1، 1425هـ)، ص5.

القسم الثالث: ما لا يقطع بصدقه ولا بكذبه، وإنما يحتمل الأمرين معًا سواءً تضاعف احتمال أحدهما أولًا[1].

وفيما يلي بيان مدى استدلالهم بكل قسم من هذه الأقسام ومدى حجيته عندهم.

فأما القسم الأول: وهو ما يقطع بصدقه.

فينظر فيه إلى حال الراوي، وهذا يكون له حالات عدة:

الحالة الأولى: إذا كان الرائي أحد الأنبياء أو المرسلين:

في هذه الحالة تكون الرؤيا حجة، لا اختلاف في ذلك.

الحالة الثانية: إذا كان الرائي أحد الأئمة المعصومين.

فذهب جمهور الإمامية إلى صدق رؤيا المعصوم وصحتها، وأنها صادرة من الوحي الإلهي، فهي حجة شرعية يجب العمل بها والالتزام بدلالتها، ولا يمكن التشكيك ولا النقاش في القطع الحاصل لدى المعصوم، أو في مقدماته؛ لأنه يمثل اتصالًا بالوحي وارتباطًا بالسماء، وإن لم يكن بصورة مباشرة، وخصوصًا إن رأى منامًا يخبر فيه عن قضية ما ترتبط بالواقع، وتكشف عن الغيب، فهو يعتبر ذلك من الإلهام، وإخبار من قبل الله تعالى، فيصح أن يخبر عنها على نحو القطع واليقين، وهي بهذا المعنى تدخل في البحث الفقهي إذ يعتبر إخبارًا عن الله، فيجري عليه الأحكام التكليفية من الحرمة والوجوب وغيرهما[2].

ويعتقد الإمامية أن رؤيا المعصوم مطابقة للواقع دائمًا وأبدًا، يقول الكراجي: "منامات الأنبياء- صلوات الله عليهم- وحي في الحقيقة، ومنامات الأئمة عليهم السلام جارية مجرى الوحي وإن لم تسم وحيًا ولا تكون قط إلا حقًا وصدقًا"[3].

واستدل الإمامية على صحة ما ذهبوا إليه بما يروون عن النبي ﷺ أنه قال: «من رآني في منامه فقد رآني؛ لأن الشيطان لا يتمثل في صورتي، ولا في صورة أحد من أوصيائي، ولا في صورة أحد من شيعتهم، وإن الرؤيا الصادقة جزءً من سبعين جزءًا من النبوة»[4].

أما الحالة الثالثة: وهي أن يكون الرائي ممن حسنت سيرته الدينية والعلمية والخلقية كأحد العلماء والفضلاء:

---

[1] ينظر: القبانجي، محمد حسن، **منامات المعصومين رؤية عقدية، فقهية، تاريخية**، ص6.

[2] ينظر: القبانجي، محمد حسن، **منامات المعصومين** رؤية عقدية فقهية تاريخية، (بيروت، دار المحجة البضاء، ط1، 1424هـ)، ص8-9.

[3] الكراجكي، محمد بن علي بن عثمان، **كنز الفوائد**، (إيران، ط.د، 1322هـ)، ص211.

[4] القمي، أبي جعفر محمد بن علي بن بابويه، **أمالي الصدوق**، (منشورات مؤسسة الأعلى للمطبوعات: بيروت، ط1، 1417هـ)، ص121.

فقد اختلف الإمامية في اعتبار حجيتها على ثلاثة أقوال:

القول الأول: عدم حجية الرؤى المنامية الصادرة من غير المعصوم لصاحبها، فضلًا عن حجيتها للآخرين. وممن ذهب إلى ذلك علاّمتهم الحلي[1].

القول الثاني: حجية الرؤى المناسبة الصادرة من غير المعصوم لصاحبها، دون اعتبار حجيتها على غيره. وذلك لأن الإخباريين قد حصروا الأدلة الشرعية في الكتاب والسنّة. والأصوليين قد حصروا الأدلة الشرعية في أربعة: القرآن، والسنّة، والإجماع، والعقل.

ولكن يمكن اعتبار حجيته كدليل من الأدلة إذا سر المعصوم أو عبر في يقظته هذه الرؤيا، فتكون حينها حجة، يجب العمل بها.

فقد جاء في الكافي عن بشير الدهّان أنه قال لأبي عبد الله: "إني رأيت في المنام أني قلت لك: إن القتال مع غير الإمام المفترض الطاعة حرام، مثل: الميتة والدم ولحم الخنزير، فقلت لي: نعم هو كذلك فقال أبو عبد الله: "هو كذلك هو كذلك"[2].

القول الثالث: إطلاق القول بحجيتها على الرائي وعلى غيره.

ولكن منها ما هو حق ومنها ما هو باطل. فما جاء في الرؤيا موافقًا لمذهب الإمامية فهو حق وما جاء في الرؤيا مخالفًا لمذهب الإمامية فهو باطل[3].

يقول المفيد في بيان ذلك: "أولى الأشياء أن يكون الحق منها ما ثبت بالدليل في اليقظة على الصحة ما تضمنه، والباطل ما أوضحت الحجة على فساده وبطلانه"[4].

أما القسم الثاني من الرؤى والمنامات:

فهو ما لا يمكن تصديقه أي لابد من تكذيبه، وهو ما لا يمكن تصوره في حق المعصوم نبيًا كان، أو إمامًا، وإن كان يمكن التصور لغيرها، سواءً على مستوى المنامات الخبرية أم الإنشائية، والتعامل معها وفقًا لما يمليه القطع لحجيته الذاتية، كما يعبر عنه في علم الأصول سواءً كان منشأ البطلان؛ لأجل معارضتها العقل الصريح، أو

---

[1] المجلسي، محمد باقر، **بحارا لأنوار**، ج58، ص238؛ وينظر: القبانجي، محمد حسن، **منامات المعصومين**، ص8.

[2] الكليني، محمد بن يعقوب، **الفروع من الكافي**، تصحيح: علي أكبر الغفاري، (بيروت، دار الصعب، ط3، 1401هـ)، ج5، ص23.

[3] ينظر: البحراني، يوسف، **الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة**، تحقيق: محمد تقي الأيرواني، (بيروت، دار الأضواء للطباعة والنشر، ط3، 1413هـ)، ج2، ص276.

[4] نقلًا عن الكراجكي، محمد بن علي، **كنز الفوائد**، ص213؛ والبحراني، **الحدائق الناضرة**، ج2، ص276.

القضايا المسلمة عند الإمامية، أو لأي سبب آخر قطعي الصحة[1]، إذًا في هذه الحالة لا تكون الرؤيا حجة ولا يستدل بها على مسائل الاعتقاد والغيبيات.

والقسم الثالث: وهو يحتمل الصدق والكذب معًا، ولا يقطع بصدق هذه الرؤيا ولا بكذبها:

ولكن لا يمكن حصول هذه الصورة في حق المعصوم؛ إلا في حالة واحدة كما يقول القبانجي: "في عالم المحو والإثبات، وهذا كما يحدث في المنامات كذلك يحدث في علمه من خلال الصور الأخرى للعلم، كالإلهام، بل حتى الوحي، كالنسخ في عالم التشريع، أو البداء في عالم التكوين، وهذا لا ينافي صدق القضية على الإطلاق إذ عدم حدوثها لا يدل على كونها، بل لأجل تخلف شرط من الشروط، أو إيجاد مانع لحدوثها، وما شاكل ذلك.."[2].

والمقصود أن الإمامية يعتقدون أن رؤيا الأئمة وحي مثل رؤيا الأنبياء، وعلى ذلك يجب العمل بها والاستدلال بها في إثبات العقائد والغيبيات.

فمما رووه عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه أنه رُؤي ذات يوم وهو ساجد يبكي علا نحيبه، وارتفع صوته بالبكاء، فقلنا يا أمير المؤمنين! لقد أمرضنا بكاؤك، وأمضنا وشجانا، وما رأيناك قد فعلت مثل هذا الفعل قط، فقال: "كنت ساجدًا أدعو ربي بدعاء الخيرات في سجدتي فغلبني عيني فرأيت رؤيا هالتني وأقلقتني، رأيت رسول الله ﷺ قائمًا وهو يقول: "يا أبا الحسن! طالت غيبتك فقد اشتقت إلى رؤياك، وقد أنجز لي ربي ما وعدني فيك "فقلت يا رسول الله! وما الذي أنجز لك فيّ؟ قال: "أنجز لي فيك وفي زوجتك، وابنيك، وذريتك في الدرجات العلى في عليين" قلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله فشيعتنا؟ قال: "فشيعتنا معنا وقصورهم بحذاء قصورنا، ومنازلهم مقابل منازلنا، قلت: يا رسول الله! فما لشيعتنا في الدنيا؟ قال: "الأمن والعافية"، قلت: فما لهم عند الموت؟ قال: "يحكم الرجل في نفسه، ويؤمر ملك الموت بطاعته" قلت: فما لذلك حد يعرف؟

قال: "بلى، إن أشد شيعتنا لنا حبًا يكون خروج نفسه كشرب أحدكم في يوم الصيف الماء البارد الذي ينتفع به القلوب، وإن سائرهم ليموت كما يغبط أحدكم على فراشه كأقر ما كنت عينه بموته"[3].

المطلب الثالث: نقد منهج الإمامية في الاستدلال بالرؤى والمنامات في إثبات الغيبيات

ويُرد على منهج الإمامية الاثني عشرية في الأخذ بالرؤى والعمل بها بما يلي:

1- أن المتتبع لرؤى الإمامية -التي زعموا أنهم رأوها- من كتبهم يجد أنهم قد اعتمدوا عليها في إثبات

[1] ينظر: القبانجي، **منامات المعصومين**، ص10.

[2] **المصدر السابق**، ص10-11.

[3] ينظر: الاسترابادي، شرف الدين علي الحسيني، **تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة**، (قم، مطبعة أمير، ط1، 1407هـ)، ج2، ص776؛ والمجلسي، محمد باقر، **بحار الأنوار**، ج6، ص161-162، ج24، ص194-195.

عقائد فاسدة، منها تفضيل آل البيت الحسن والحسين على جميع الخلق بل حتى على رسول الله[1]، وتفضيل الشيعة على بقية البشر، ويرتبون على هذه الرؤى عقائد فاسدة تتعلق بالغيبيات واليوم الآخر وغيرها، بل ويلزمون أنفسهم بلوازم هذه الرؤى حتى لو كانت مخالفة للكتاب والسنة ومخالفة لأقوال أئمتهم.

ووصل الأمر ببعضهم أن يدّعي أنه يرى الأئمة في المنام من شاء ومتى شاء، ويقضون له حوائجه، ويحلّون ما يشكل عليه من مسائل علمية، وقد ورد ذلك عن أحمد الإحسائي الذي قال: "ثم انفتح لي رؤيتهم عليهم السلام حتى أني أكثر الليالي والأيام أرى من شئت منهم، وإذا رأيت أحدًا منهم وانقطع كلامي قبل تمامه رجعت في النوم ورأيت ذلك الذي رأيته عند منقطع كلامي حتى أتمه"[2].

وهذا كله بلا شك أمور باطلة لا أساس لها من الصحة، فإن النبي ﷺ لم يصل إلى هذه المرتبة حتى يصل إليها أحد علماء الإمامية! فقد كان عليه الصلاة والسلام في حادثة الإفك يسأل بنفسه ويتحرى عن الأمر قرابة الشهر حتى نزل عليه الوحي ببراءة زوجه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ولم يستطع أن ينزل على نفسه الوحي أو يُرِى نفسه رؤيا تخبره بالحقيقة متى شاء.

2- أما ما استدل به الإمامية مما ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من رآني في منامه فقد رآني..» فهذا الخبر أُدرج فيه حديثان وزيد فيه ونقص منه فإن الذي ورد عند أهل السنة وهو الثابت عن النبي ﷺ ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «... من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي ومن كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»[3].

وورد عن أبي سعيد الخدري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة»[4].

ولم يذكر في الحديث أن من رأى أحد الأوصياء أو الأئمة، أو أحد الشيعة فإن ذلك حق وليس من الشيطان، ولكن هذا من تصحيف الإمامية للأحاديث، وهو لازم قولهم بأن الإمامة مثل النبوة فجعلوا الشيطان لا يتمثل بالأئمة مثل ما ثبت ذلك عن النبي ﷺ.

ثم إن الاستدلال بهذا الحديث يحتاج إلى تفصيل، وذلك أن رؤية النبي ﷺ لا تكون حقًا إلا إذا وافقت صفته التي كان عليها في الدنيا، وبذلك يكون من رأى النبي على صفته الثابتة له فقد رأى الحق، وإلا فهي

---

[1] ينظر: المجلسي، محمد الباقر، **بحار الأنوار**، ج74، ص328-329.

[2] نقلا عن: الطريحي، محمد كاظم، **النجف الأشرف مدينة العلم والعمران**، (بيروت، دار الهادي للطباعة والنشر، ط.د، 1998م)، ص138؛

[3] البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ: رقم (110)، ج1، ص52.

[4] البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، كتاب التعبير، باب الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة، ج9، ص29 حديث رقم (6989)، ومسلم، مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، كتاب الرؤيا، ج4، ص1774، حديث رقم (2263) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

أضغاث أحلام، فإن الشيطان قد يتمثل في صورة أخرى ويخيل للرائي أنها صورة النبي ﷺ، وخصوصًا إذا كان الرائي جاهلًا بصفته التي كان عليها، لهذا قال الإمام البخاري: "إذا رآه في صورته"[1].

وروى الحافظ بن حجر بسند صححه عن ابن سيرين رحمهما الله تعالى: "أنه كان إذا قص عليه رجل أنه رأى النبي ﷺ قال: "صف لي الذي رأيته" فإن وصف له صفة لا يعرفها، قال: "لم تره"[2].

وغاية ما يدل عليه هذا الحديث هو أن من رأى النبي بصفته الحقيقية في المنام فقد رآه حقًا ولا يدل الحديث على أن المرء قد يرى النبي ﷺ في المنام ليأخذ منه الأحكام والأمور الغيبية وأصول العقائد، وذلك لأن الدين قد كمل قبل وفاة النبي ﷺ، فلا حجة في الرؤى حتى لو تضمنت أوامر أو أحكامًا في أصول الدين وفروعه[3].

وأما ما يستند إلى أن الرؤيا جزء من أجزاء النبوة، وعليه فلا ينبغي إهمالها، فإن هذه المسألة الجواب عليها من وجوه:

1- أن الرؤيا إن كانت من أجزاء النبوة فليست تعدل كمال الوحي، بل هي جزء من أجزائه، والجزء لا يقوم مقام الكل من جميع الوجوه، وإنما في بعض الوجوه وهي البشارة والنذارة.

2- أن من شرط الرؤيا أن تكون صالحة، ومن الرجل الصالح، وحصول هذه الشروط مما ينظر فيه، فقد تتوفر وقد تتخلف، فالإنسان لا يقطع بأن رؤياه صالحة أو أنه من الصالحين، فهذا لا يعرف إلا بموافقة الشرع، فتبين أن الشرع هو العمدة والأساس.

3- يلزم من العمل بالرؤيا تجدد وحي بعده عليه الصلاة والسلام، وهو باطل بالإجماع[4].

الخاتمة

وفي خاتمة هذا البحث أدون ما توصلت إليه هنا أبرز النتائج والتوصيات كما يأتي:

النتائج:

1) أن الإمامية ذهبوا إلى أن الكشف يورث عن صاحبه معارف يقينية تتجلى له بصورته الحقيقية التي لا يخالطها شك.

---

[1] البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، كتاب التعبير، باب من رأى النبي ﷺ في المنام: (5676)، ذكره عقب الحديث رقم (6592).

[2] العسقلاني، أحمد ابن حجر، **فتح الباري**، ج12، ص383.

[3] ينظر: مختار، عفاف بنت حسن، **تناقض أهل الأهواء والبدع في العقيدة**، (الرياض: مكتبة الرشد، ط1، 1412هـ). ج1، ص86.

[4] ينظر: الشاطبي، **الاعتصام**، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، (الدمام: دار ابن القيم، ط1، 1423هـ). ج1، ص261؛ وينظر: العسقلاني، ابن حجر، **فتح الباري**، ج12، ص362.

2) أن الكشف عند الإمامية حجة في الاستدلال على المعتقدات والغيبيات، حيث يرون أن معرفة الله تعالى قد تحصل للعباد بما شاء وأراد من مراتب المعرفة، ومن ذلك معرفة ذاته ومعرفة معاني أسمائه جل ثناؤه.

3) أن الإمامية يرون أن الإلهام مصدر معرفي مستقل، وهو عندهم نوع من أنواع الوحي أو هو مساوٍ للوحي ومرادف له مع فروق يسيرة بينه وبين الوحي، حيث الإلهام عندهم هو الطريق إلى العلم اللدني.

4) أن الإمامية قد جعلوا العلم اللدني الحاصل من طريق الإلهام من أسباب العصمة، وهذا ما قرره بعضهم، حيث جعل حصول العلوم للأئمة وتأكيدها بتتابع الوحي والإلهام من الله تعالى من أسباب حصول العصمة لهم.

5) أن الإمامية قد خلصوا إلى أن الإلهام الإمامي هو سبب عصمة الأئمة وهو ما جعل أقوالهم مثل قول النبي ﷺ، وعلى ذلك فإن هذا الإلهام حجة عند الإمامية في الاستدلال به لإثبات الأمور الغيبية والعقائدية.

6) أن علم الغيب لا يعلمه إلا الله، وأن الاستدلال بالكشف أو الإلهام أو الرؤى في اثبات الغيبيات أمر ظاهر بطلانه وهو مخالف لعقيدة ختم النبوة وانقطاع الوحي.

التوصيات:

1. توصية الباحثين وأساتذة الجامعات وطلاب الدراسات العليا في تخصص العقيدة، بدراسة مسائل الكشف والإلهام والرؤى عند بقية الفرق الإسلامية المخالفة لمنهج اهل السنة والجماعة والمنهج القويم.

2. التوصية بدراسة المفاهيم العقدية للشيعة الإمامية المعاصرة والتي تسربت إلى ثقافة بعض المسلمين، وإبطالها وإثبات المنهج الصحيح المعتبر.

(المصادر والمراجع) REFERENCES

[1] 4‘Āmilī, Muḥsin al-Amīn, a‘yān al-Shī‘ah, (Dimashq : Maṭba‘at Ibn Zaydūn, D. Ṭ, D. t)

[2] Aḥmad ibn Ḥanbal, Aḥmad, Musnad Aḥmad ibn Ḥanbal, (al-Maktab al- Islāmī, Dār Ṣādir : al-Qāhirah, Ṭ1, 1389h-1969m(

[3] Albānī, Muḥammad Nāṣir al-Dīn ‘ Irwā’ al-ghalīl fī takhrīj aḥādīth Manār al-Sabīl, (al-Maktab al-Islāmī - byrwt-Lubnān, ṭ2, 1985m)

[4] al-Jawharī, Ismā‘īl ibn Ḥammād, al-ṣiḥāḥ, taḥqīq : Aḥmad ‘Aṭṭār, Dār al-‘Ilm lil-Malāyīn, Bayrūt, ṭ4 1407h

[5] ‘Amr Ibn Abī ‘Āṣim, Kitāb al-Sunnah, wa-ma‘ahu ẓilāl al-jannah fī takhrīj al-Sunnah, Muḥammad Nāṣir al-Dīn al-Albānī, (al-Maktab al-Islāmī, Ṭ1, 1400h)

[6] Āmulī, Muḥammad Maḥmūd, Nafā’is al-Funūn fī ‘Arā’is al-‘uyūn, (nusakh Darāwīsh shykhyh : Īrān, t. D, Ṭ. D)

[7] Anṣārī, ‘Abd Allāh ibn Muḥammad ibn ‘Alī al-Harawī, tafsīr al-Qur’ān al-Karīm, (makhṭūṭ)

[8] Anṣārī, Farīd, Abjadīyāt al-Baḥth fī al-‘Ulūm al-shar‘īyah, (al-Dār al-Bayḍā’ : Maṭba‘at al-Najāḥ al-jadīd, D. Ṭ, 1417h / 1997m)

[9] ‘Askarī, Abū Hilāl, al-Furūq al-lughawīyah, taḥqīq : Ḥusām al-Dīn al-Qudsī, (Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah : Bayrūt, Ṭ1, 1401h-1981m)

[10] ‘Asqalānī, Aḥmad ibn Ḥajar, Fatḥ al-Bārī sharḥ Ṣaḥīḥ al-Bukhārī, Ashraf ‘alá al-taṣḥīḥ wa-al-taḥqīq : ‘Abd al-‘Azīz ibn Bāz, (al-Sa‘ūdīyah : Ri’āsat idārāt al-Buḥūth al-‘Ilmīyah wa-al-Iftā’ wa-al-Da‘wah wa-al-Irshād, D. Ṭ, D. t)

[11] Astarābādī, Muḥammad Amīn ibn Muḥammad, al-Fawā’id al-madanīyah, (Īrān : D. Ṭ, 1321h)

[12] Astarābādī, Sharaf al-Dīn ‘Alī al-Ḥusaynī, Ta’wīl al-āyāt al-ẓāhirah fī faḍā’il al-‘Itrah al-ṭāhirah, (Qum : Maṭba‘at Amīr, Ṭ1, 1407h

[13] Badawī, ‘Abd al-Raḥmān, Mawsū‘at al-falsafah, (Bayrūt : al-Mu’assasah al-‘Arabīyah lil-Dirāsāt wa-al-Nashr, Ṭ1, 1984m)

[14] Baḥrānī, Yūsuf, al-Ḥadā’iq al-nāḍirah fī Aḥkām al-‘Itrah al-ṭāhirah, taḥqīq : Muḥammad Taqī al’yrwny, (Bayrūt : Dār al-Aḍwā’ lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr, ṭ3, 1413

[15] Bayhaqī, Abū Bakr Aḥmad ibn al-Ḥusayn, al-Jāmi‘ li-shu‘ab al-īmān, taḥqīq : ‘Abd al-‘Alī Ḥāmid, (Būmbāy : al-Dār al-Salafīyah, Ṭ1, 1406h.(

[16] Bukhārī, Muḥammad ibn Ismā‘īl, Ṣaḥīḥ al-Bukhārī, (Dār al-Da‘wah, D. Ṭ, D. t)

[17] Dhahabī, Muḥammad ibn Aḥmad, Siyar A‘lām al-nubalā’, taḥqīq : Shu‘ayb al-Arnā’ūṭ, (Bayrūt : Mu’assasat al-Risālah, ṭ2, 1402h)

[18] Faḍlī, ‘Abd al-Hādī, uṣūl al-Baḥth, (Qum : Mu’assasat Dār al-Kitāb al-Islāmī, D. Ṭ, D. t)

[19] Faqīh, Fāris, al-‘ulamā’ fī ‘Ālam al-ru’yā, (Qum : al-Maṭba‘ah al-Fayḍiyah, Ṭ1, 1425h)

[20] Ḥanafī, ‘Abd al-Mun‘im, Mu‘jam muṣṭalaḥāt al-Ṣūfīyah, (Bayrūt : Dār al-Masīrah, D. Ṭ, 1400h)

[21] Ḥanafī, ‘Alī ibn ‘Alī ibn Abī al-‘Izz, sharḥ al-‘aqīdah al-Ṭaḥāwīyah, (al-Ṭā’if : Maktabat al-Mu’ayyad, Ṭ1, 1401h)

[22] Ḥasan, ‘Uthmān ibn ‘Alī, Manhaj al-istidlāl ‘alá masā’il al-i‘tiqād, (al-Riyāḍ, Maktabat al-Rushd, Ṭ 7, 1415h)

[23] Ibrāhīmī, ‘Abd al-Jawwād, naẓrah ḥawla Durūs fī al-‘aqīdah al-Islāmīyah, (Qum : Maṭba‘at Bahman, Ṭ1, 1417h)

[24] Jazā'irī, Ni'mah Allāh, Nūr al-anwār sharḥ al-Ṣaḥīfah al-Sajjādīyah : zbwr al-a'immah al-Aṭhār, (D. Ṭ, 1316
[25] Jurjānī, 'Alī ibn Muḥammad, alt'ryfāt, taḥqīq : Ibrāhīm al-Abyārī, (Dār al-Kutub al-'Arabī, Ṭ1, 1405h)
[26] Juwaydī, Rajā' Waḥīd, al-Baḥth al-'Ilmī asāsyāth al-naẓarīyah wa-mumārasātuh, (Dimashq : Dār al-Fikr, Ṭ1, 2000M)
[27] Kaffawī, Abū al-Baqā' Ayyūb ibn Mūsá, al-Kullīyāt Mu'jam fī al-muṣṭalaḥāt wa-al-furūq al-lughwīyah, taḥqīq : 'Adnān Darwīsh wa-Muḥammad al-Miṣrī, (Bayrūt : Mu'assasat al-Risālah, D. Ṭ, 1419h)a
[28] Karājikī, Muḥammad ibn 'Alī ibn 'Uthmān, knz al-Fawā'id, (Īrān, D. Ṭ, 1322h)
[29] Kāshānī, Ibrāhīm ibn al-Muḥsin, al-Ṣaḥīfah al-hādiyah wa-al-tuḥfah al-Mahdīyah, (Qum : Madrasat al-Imām al-Mahdī, D. Ṭ, D. t)
[30] Kashmīrī, Muḥammad Anwar Shāh al-Hindī, al-Taṣrīḥ bi-mā tawātara fī nuzūl al-Masīḥ, tartīb : Muḥammad shny', taḥqīq : D. 'Abd al-Fattāḥ Abū Ghuddah, (Ḥalab : Maktabat al-Maṭbū'āt al-Islāmīyah, ṭ3, 1401h, 1981M)
[31] Khumaynī, Muṣṭafá, tafsīr al-Qur'ān al-Karīm, (Īrān : Maṭba'at Mu'assasat 'rwj, Ṭ1, 1379h)
[32] Khumaynī, Rūḥ Allāh al-Mūsawī Miṣbāḥ al-Hidāyah ilá al-khilāfah wa-al-wilāyah, (Bayrūt : Mu'assasat al-Wafā', Ṭ1, 1403h.
[33] Khumaynī, Rūḥ Allāh al-Mūsawī, al-Ta'līqah 'alá al-Fawā'id al-Riḍawīyah, (Īrān : Maṭba'at Mu'assasat 'rwj, Ṭ1, 1375m)
[34] Khumaynī, Rūḥ Allāh al-Mūsawī, al-tawḥīd 'inda al-Shī'ah, (Bayrūt : Markaz Bā' lil-Dirāsāt, Ṭ1, 2001M
[35] Khuwansārī, Muḥammad Bāqir, Rawḍāt al-jannāt fī aḥwāl al-'ulamā' al-Sādāt, taḥqīq : Asad Allāh Ismā'īliyān, (al-Maṭba'ah al-Ḥaydarīyah, D. Ṭ, 1950)
[36] Kulaynī, Muḥammad ibn Ya'qūb, al-furū' min al-Kāfī, taṣḥīḥ : 'Alī Akbar al-Ghaffārī, (Bayrūt : Dār Ṣa'b, ṭ3, 1401h)
[37] Majlisī, Muḥammad Bāqir, Biḥār al-anwār al-Jāmi'ah li-durar Akhbār al-a'immah al-Aṭhār, (Bayrūt : Dār Iḥyā' al-Turāth al-'Arabī, ṭ3, 1403h)
[38] Mālikī, Muḥammad Bāqir, Tawḥīd al-Imāmīyah, tanẓīm : Muḥammad albyābāny al'skw'y, (Qum : Mu'assasat al-Thaqāfah wa-al-Irshād al-Islāmī, Ṭ1, 1415h)
[39] Manẓūr, Muḥammad Ibn Mukarram, Lisān al-'Arab, Dār Iḥyā' al-Turāth al-'Arabī, Ṭ1, 1405 H
[40] māzndārāny, Muḥammad ibn 'Alī ibn shahr āshwb, manāqib Āl Abī Ṭālib, (Īrān : D. Ṭ, 1313h)
[41] Mudarrisī, Muḥammad Taqī, al-'Irfān al-Islāmī bayna naẓarīyāt al-bashar wa-baṣā'ir al-waḥy, (Lubnān : Dār al-Bayān al-'Arabī, ṭ2, 1992m)
[42] Mukhtār, 'Afāf bint Ḥasan, Tanāquḍ ahl al-ahwā' wa-al-bida' fī al-'aqīdah, (al-Riyāḍ : Maktabat al-Rushd, Ṭ1, 1412h)
[43] Muslim, Abū al-Ḥusayn ibn al-Ḥajjāj, Ṣaḥīḥ Muslim, (Dār al-Da'wah, D. Ṭ, D. t)
[44] Muẓaffar, 'Abd al-Muḥsin ibn 'Abd Allāh, al-Shāfī sharḥ uṣūl al-Kāfī, (al-Najaf : Maṭba'at al-Gharī, ṭ2, 1389h)
[45] Muẓāhirī, al-faḍā'il wālrdhā'l al-akhlāqīyah wa-al-ta'ammul fī al-āyāt al-ilāhīyah, (Qum : Markaz al-Mu'jam al-fiqhī, D. Ṭ, D. t)
[46] Narāqī, Muḥammad Mahdī, Jāmi' al-Sa'ādāt, taḥqīq : Muḥammad Kalāntar, (Dār al-Nu'mān, ṭ4, D. t)
[47] Qabbānjī, Muḥammad Ḥasan, Manāmāt al-ma'ṣūmīn ru'yah 'aqadīyah, fiqhīyah, tārīkhīyah, (Bayrūt : Dār al-Maḥajjah al-Bayḍā', Ṭ1, 1424h)

[48] Qāḍī ʻIyāḍ ibn Mūsá al-Yaḥṣubī, al-Shifā bi-taʻrīf Ḥuqūq al-Muṣṭafá, taḥqīq : ʻAlī Muḥammad al-Bajāwī, (Maṭbaʻat ʻĪsá al-Bābī al-Ḥalabī, D. Ṭ, D. t)
[49] Qayṣarī, Muḥammad Dāwūd, sharḥ Fuṣūṣ al-ḥukm, taḥqīq : Sayyid Jalāl al-Dīn Āshtiyānī, (Ṭihrān : Sharikat Intishārāt ʻAlamī, Ṭ1, 1375h
[50] Qayyim Shams al-Dīn Muḥammad al-Jawzīyah, Madārij al-sālikīn, taḥqīq : Muḥammad Ḥāmid Fiqī, (Dār al-Kitāb al-ʻArabī : Bayrūt, Ṭ 2, 1393h)
[51] Qummī, Abī Jaʻfar Muḥammad ibn ʻAlī ibn Bābawayh, Amālī al-Ṣadūq, (Manshūrāt Mu'assasat al-Aʻlá lil-Maṭbūʻāt : Bayrūt, Ṭ1, 1417h)
[52] Qummī, Muḥammad Ṭāhir, Kitāb al-arbaʻīn fī imāmat al-a'immah al-ṭāhirīn, taḥqīq : Mahdī al-Rajā'ī, (Maṭbaʻat al-Amīr : Qum, Ṭ 1, 1418h)
[53] Qūnawī, Abū al-Maʻālī, Miftāḥ al-ghayb, taṣḥīḥ wa-taqdīm Muḥammad Khwājawī, (Ṭihrān : Maṭbaʻat muṣawwar, Ṭ1, 1416h)
[54] Rayyān -Muḥammad Abū Rayyān, uṣūl al-falsafah al-ishrāqīyah ʻinda Shihāb al-Dīn alshrwdy, (Miṣr : Dār al-Maʻrifah al-Islāmīyah, D. Ṭ, 1414h)
[55] Ṣadr, Muḥammad Bāqir, al-sīrah wa-al-masīrah fī ḥaqā'iq wa-wathā'iq, (Lubnān : Mu'assasat al-Maʻārif lil-Maṭbūʻāt, Ṭ1, 2006)
[56] Shahīd al-Thānī, Zayn al-Dīn ibn ʻAlī al-ʻĀmilī, ḥaqā'iq al-īmān, taḥqīq : Mahdī Rajā'ī, (Qum : Maṭbaʻat Sayyid al-shuhadā', Ṭ1, 1409h)
[57] Shahrī, Muḥammad Rayy, al-ʻaql wa-al-jahl fī al-Kitāb wa-al-sunnah, (Bayrūt : Dār al-ḥadīth lil-Ṭibāʻah wa-al-Nashr, Ṭ1, 1421h)
[58] Shahrī, Muḥammad Rayy, Mabānī al-Maʻrifah, (Dār al-Murtaḍá : Bayrūt, ṭ2, 1413h)
[59] Shāṭibī, Ibrāhīm ibn Mūsá al-Iʻtiṣām, taḥqīq : Salīm ibn ʻĪd al-Hilālī, (al-Dammām : Dār Ibn al-Qayyim, Ṭ1, 1423h)
[60] Shinqīṭī, Muḥammad al-Amīn, Aḍwā' al-Bayān fī Īḍāḥ al-Qur'ān bi-al-Qur'ān, (al-Ri'āsah al-ʻĀmmah li-Idārāt al-Buḥūth al-ʻIlmīyah wa-al-Iftā' wa-al-Daʻwah wa-al-Irshād, D. Ṭ, 1403h)
[61] Shīrāzī, ʻAlī Khān al-madanī, Riyāḍ al-sālikīn fī sharḥ Ṣaḥīfat Sayyid al-Sājidīn, taḥqīq : Muḥsin al-Ḥusaynī al-Amīnī, (Qum : Mu'assasat al-Nashr al-Islāmī, ṭ4, 1415h
[62] Shīrāzī, al-Mullā Ṣadr, al-Ḥikmah al-mutaʻāliyah fī al-asfār al-ʻaqlīyah, (Bayrūt : Dār Iḥyā' al-Turāth, ṭ3, 1981M
[63] ṣlybyā, D. Jamīl, al-Muʻjam al-falsafī, Dār al-Kitāb al-Lubnānī, 1994m
[64] Subḥānī, Jaʻfar, Muḥāḍarāt fī al-Ilāhīyāt, Talkhīṣ : ʻAlī al-rabbānī alklbāyklny, (Qum : Mu'assasat al-Imām al-Ṣādiq, D. Ṭ, D. t)
[65] Ṭabarsī, Aḥmad ibn ʻAlī ibn Abī Ṭālib, alāḥtjāḥ, taʻlīq : Muḥammad Bāqir al-Kharsān, (Bayrūt : Mu'assasat al-Aʻlamī, 1401h)
[66] Ṭabarsī, Ḥusayn al-Nūrī, Mustadrak al-wasā'il, (Ṭihrān : al-Maktabah al-Islāmīyah, D. Ṭ, 1382h)
[67] Tabrīzī, Muḥammad Ḥusayn, al-mukāshafāt, (Dār al-Maḥajjah al-Bayḍā' lil-Ṭibāʻah wa-al-Nashr, D. Ṭ, 2002M)
[68] Taymīyah Aḥmad ibn ʻAbd al-Ḥalīm, Dar' Taʻāruḍ al-ʻaql wa-al-naql, taḥqīq : Muḥammad Rashād Sālim, (al-Riyāḍ : Maṭbūʻāt Jāmiʻat al-Imām Muḥammad ibn Saʻūd, Ṭ1, 1403)
[69] Taymīyah Aḥmad ibn ʻAbd al-Ḥalīm, Majmūʻ al-Fatāwá, jamʻ wa-tartīb : ʻAbd al-Raḥmān ibn Muḥammad ibn Qāsim, (Ṭ1, 1398h
[70] Taymīyah, Aḥmad ibn ʻAbd al-Ḥalīm, Minhāj al-Sunnah al-Nabawīyah, taḥqīq Muḥammad Rashād Sālim, (Maṭābiʻ Jāmiʻat Muḥammad ibn Saʻūd al-Islāmīyah, al-Riyāḍ, Ṭ1, 1406h

[71] Ṭihrānī, Aghā Buzurk, al-Dharī‘ah ilá taṣānīf al-Shī‘ah, (Bayrūt : Dār al-Aḍwā’, ṭ3, 1403h)
[72] Ṭurayḥī, Muḥammad Kāẓim, al-Najaf al-Ashraf Madīnat al-‘Ilm wa-al-‘umrān, (Bayrūt : Dār al-Hādī lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr, D. Ṭ, 1998M)
[73] Ṭūsī, Muḥammad ibn al-Ḥasan, rijāl al-Kashshī (ikhtiyār ma‘rifat al-rijāl), wa-al-aṣl : Muḥammad ibn ‘Umar al-Kashshī, taṣḥīḥ wa-ta‘līq : Ḥasan al-Muṣṭafawī, (Ṭihrān : D. Ṭ,